حسنين كروم

مستقبل القوى السياسية في مصر بعد ظهور الوفد

● الناصرية..
الوريث الطبيعي للوفد

● تآكل الوسط.. والصراع
بين الناصريين والوفد

● هل سيكون سراج الدين وريث عبد الناصر؟

مستقبل القوى السياسية فى مصر

بعد ظهور الوفد

« الرد على سراج الدين »

الإهداء

إلى روح أحمد عرابي وسعد زغلول ومصطفى

النحاس وجمال عبد الناصر

مقدمة

لست مع هذا ضد ذاك

.. أرجو ألا يبادر الوفديون بتوجيه الاتهام لى بأننى أهاجم سراج الدين والوفد لحساب ممدوح سالم وحزب الوسط ، ذلك أننى لست عضواً بالوسط ، وليست لى معرفة بممدوح سالم . وأن كان الانصاف يقتضى منى أن أقول أنه وهو وزيراً للداخلية — قبل أن يصبح رئيساً للوزراء — كانت له مواقف لا يمكن أن نبخسه حقه من الإشاده بها . . فى فبراير ومارس عام ١٩٧٣ تم إحالة أكثر من مائة صحفى وكاتب إلى المعاش وإلى هيئة الاستعلامات وكنت واحداً منهم . وكتبت ضدنا مقالات ناريه فى الصحف والمجلات اتهمتنا بالعمالة وبأننا وراء أحداث الطلاب والعمال وأننا من ذيول مراكزالقوى ونعمل لحساب جهات أجنبية — السوفيت[1] — ونسىء إلى مصر . وشارك فى عمليات التحريض ضدنا نفس الكتاب الذين يهاجمون الوفد وسراج الدين الآن . وشارك فيها كذلك من لم

---

(١) وفى أقوال أخرى لألمانيا الشرقية وكوريا الشمالية بالإضافة للسوفييت .

يهاجم مثل إبراهيم البعثى[1] ، .. على الرغم من أن واحداً منا لم يقدم ضده دليلا واحداً . وعلى الرغم من أننا كنا خليطا عجيبا . كان بيننا الشيوعى والناصرى ، والذى كان عضواً بالتنظيم الطليعى . والذى كان من الأخوان المسلمين ، والذى لم يكن له صلة بالسياسة من قريب أو بعيد ، بل كان بيننا واحداً من غلاة الرجعيين والكارهين للثوره ولحزب الوفد أيضاً وهو ثروت أباظة الذى صدر قرار باسقاط عضويته من الاتحاد الاشتراكى لأنه وقع على العريضة التى كتبها عدد من الأدباء والتى أعتبرها الرئيس السادات دعوة للتسليم لإسرائيل . وبالنسبة لى فلقد كان الرئيس السادات هو الذى أصدر قراراً بتعيينى فى جريدة الاخبار حينما كان نائباً لرئيس الجمهورية فى مايو (آيار) ١٩٧٠ ، ونفذ القرار فى فبراير (شباط) ١٩٧١ وحل لى مشكلة عويصة أشرت إليها فى مقدمة كتابى (الصامتون يكذبون) كنا خليطا عجيباً يكفى للرد على القول بأننا من أعوان وذيول ما يسمى بمراكز القوى وإننا عملاء للسوفيت ، وكنا نتعمد الاساءة لمصر . . فى هذه المحنة كان هناك مسئولون وقفوا ضدنا . . وكان هناك الساده أعضاء هيئة النظام الذين اعتبروها فرصة لذبح أكبر

---

(١) صحفى بمجلة المصور .

عدد من الكتاب والصحفيين . . فى نفس الوقت كان هناك عدد من المسئولين[1] ابدوا تعاطفا معنا . وقالوا أن ليس لديهم أى أدلة ضدنا . وكان منهم السيد / ممدوح سالم وزير الداخلية الذى لم يترك مجالا للشك فى مساندته لنا إذا ما طلب منه إبداء الرأى كما أفاد بذلك بعض زملائنا الذين قابلوه . . وأخيراً فانه لم يتورط بشكل شخصى مباشر فى الحملة المعادية لجمال عبد الناصر [illegible] نظافة يده لا من قريب أو بعيد .

قد يبادر بعض الوفديين فيقول إنك ناصرى لئيم ولذا تعادى الوفد وسراج الدين . .

. . على العكس ، فاننى أكن عواطف جياشة نحو تاريخ حزب الوفد ومصطفى النحاس لأسباب وطنية ، ولأسباب عائلية ، لأن والدى كان من الذين على استعداد لالقاء أنفسهم فى النار إذا طلب منهم الوفد ذلك . وأنا لم اترك فرصة ولا مناسبة إلا وكشفت فيها عن عواطفى نحو حزب الوفد والنحاس باشا . .

---

(١) منهم سيد مرعى وحافظ إسماعيل وأشرف غربال .

ففى كتابى « عبد الناصر المفترى عليه » قلت ما يلى : —

« هل كانت الجماهير تحب ناصر وتؤيده خوفا من الإرهاب والسجون ؟ . أن اليمين يعلن عن إفلاسه الروحى حينما يردد هذا الكلام . لأنه يدرك كذبه ، كما يدرك أن الجماهير أحبت ناصر عن اقتناع كامل ومنحته تأييدها المطلق ، ولم تصمت عن خوف ، لقد كان ناصر رجل الغالبيه الساحقة كما قلنا ، وهذا ما جعل المقاومة التى يمكن أن يلقاها فى الداخل ضعيفة هزيله بل ومدانة ولا مستقبل لها،لأنها تأتى أساساً من الطبقات المدحورة كالاقطاعيين والرأسماليين والسماسرة وتجار البورصة وعملاء الاستعمار ، وهؤلاء أقلية ضئيلة مكشوفة . إن عبدالناصر لم يصطدم أبداً بمصالح الأغلبية . وإنما كان معبراً عنها ، وبالتالى حائزاً لرضاها وليس لخوفها ، وكانت الجماهير تثق فيه ثقة شديدة ، وتحبه بجنون ، صحيح أن هذه الثقة المفرطة والحب الشديد سمحا بوجود انحرافات ، ولكن ناصر كان الابن المدلل للشعب ، وبالتالى فان أخطاءه لم تظهر بشكل كاف ، أو لم تتوقف الجماهير عندها طويلا لمحاسبته عليها من فرط حبها وتدليلها له ، ولو كانت الجماهير تكرهه فانها كانت ستقاومه ، بل وكانت

قد أسقطته برغم أجهزته البوليسية أو ارهابه ولم تمكنه من البقاء هذه المدة الطويلة فى الحكم .

لم تكن الجماهير مضللة لأنه يستحيل تضليل شعب بأكمله حتى وأن كان من الأميين الجهلاء . لقد حاول الملك فاروق بواسطة عملائه وواسطة بعض الصحفيين أمثال مصطفى وعلى أمين وصالح جودت أن يصور نفسه فى صورة الحريص على مصالح الأمة ، بل ونسب نفسه إلى الرسول ، ومع ذلك كانت عواطف الغالبية الساحقة مع حزب الوفد ، ومع النحاس باشا ، وعلى الرغم من حب الجماهير لناصر ، وعلى الرغم من الهجوم الشديد والتجريح القاسى والظالم الذى شنته صحافة الثورة ضد حزب الوفد وضد النحاس باشا ، فان الجماهير خرجت تودع النحاس فى جنازته وداعا حاراً رغم تضييق السلطات ، ورغم معرفتها أنها — أى السلطات — لا ترتاح لذلك » .

وفى كتاب الصامتون يكذبون « الذى رددت به على كتاب « الصامتون يتكلمون » هاجمت السيد / حسين الشافعى على البرقية التى أرسلها إلى مصطفى أمين بمناسبة العيد الثلاثين « لأخبار اليوم »

والتى نشرت بأخبار اليوم بتاريخ ١٦ نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩٧٤ ، والتى قال فيها أنه ليس معتاداً على إرسال التهانى بمثل هذه المناسبات ، ولـكنه وجد من الضرورى الخروج عن هذا وإرسال برقية لأن إنشاء أخبار اليوم يعادل فى رأيه إنشاء بنك مصر . وأن من الضرورى أن نذكر فضل ذوى الفضل وجهد المجاهدين .. .
وقلت رداً على ذلك أن من حق حسين الشافعى أن ينحاز لأعداء ثورته ، على اعتبار أن الأخبار كانت تقود وقتها أعتى حملة ضد ثورة يوليو وضد جمال عبد الناصر وضد كل القوى التقدمية فى مصر . . وقلت ما نصه ص ٦٩ — ٧٠ — ٧١ :

« ولـكن الشىء الذى لا يمـكن غفرانه له هو محاولته تزييف تاريخ الحركة الوطنية المصرية ونضال شعبنا ، أن السيد / حسين الشافعى كان عليه أن يقرأ قبل أن يـكتب ، وكان عليه ألا يضفى صفات الجهاد والنضال على من كانوا حربا على الجهاد والنضال ، وألا يبخس المجاهدين الحقيقيين حقهم المشروع من الإشادة والتبجيل ، ذلك أن إنشاء « أخبار اليوم » كان باتفاق مع القصر الملـكى وأحزاب الأقلية التى كانت تتعاون مع القصر ومع الاحتلال الانجليزى للهجوم على حزب الوفد الذى كان يمثل الحركة الوطنية المصرية

ويحظى بالتأييد الشعبى الـكاسح — ولقد تعرض حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس باشا ، الذى كان زعيما للشارع المصرى دون جدال ، إلى حملات مأجوره ومسموره من أخبار اليوم « ومن مصطفى أمين وكذلك من جلال الحمامصى الذى لم يـكن إلا خادما للملك ولأحزاب الأقلية التى يعاديها الشعب ، أن هذه الحقائق مسجلة ومدونة وتشهد عليها صفحات أخبار اليوم» ومقالات مصطفى أمين، لو أراد حسين الشافعى أن يذكر فضل ذوى الفضل فعليه أن يذكر حزب الوفد ومصطفى النحاس وجريدة المصرى وباقى الزعماء وبقية الجرائد والمجلات التى كانت مع الجماهير العريضة وضد القصر وفساده وضد أحزاب الأقلية المتعاونة مع الاحتلال ، وكان عليه أن لا يذكر مطلقا لا اسم أخبار اليوم ولا اسم مصطفى أمين حتى لا يورط نفسه بهذه الطريقة . أن موقف أحمد أبو الفتح مفهوم فهذا الوفدى السابق عاد ليتحالف مع أعداء حزبه ، لأنه معاد لثورة يوليو ، ولأنه أثناء عدوان ١٩٥٦ على مصر كان يدير محطة إذاعة « صوت مصر الحرة » التى كانت تشجع العدوان والتى كانت تمولها مخابرات حلف الأطلنطى ، أما موقف أحد قادة ثورة يوليو الطيب القدين فهو الشيء المحير والمثير والذى يدعو للأسى » .

. . وفى كتاب « صلاح نصر . . الأسطورة والمأساه » الذى أبديت فيه إعجابى بصلاح نصر وحزنى عليه . . . هاجمت عدداً من الكتاب الذين هاجموا ثورة يوليو وعبد الناصر وقلت إن صلاح نصر يعتبر أشجع وأفضل منهم . .

قلت عن مصطفى أمين : —

« المنافق الذى تخصص فى مدح كل سلطة موجودة فى مصر حتى إذا زالت هذه السلطة وجاءت غيرها أنقلب ضدها ووقف مع السلطة الجديدة ؟ كان بوقا وخادما للملك فاروق وكان عدوا لدودا للحركة الوطنية ممثلة فى حزب الوفد » .

وقلت عن جلال الدين الحمامصى : —

« الذى يقدم نفسه كبطل للديمقراطية ومحارب للفساد ونموذج على النزاهة ؟ والذى مارس دوراً حقيراً فى رواية معدة سلفا لاتهام عبد الناصر بالسرقة ؟ داونى على موقف واحد له يدعم به تبجحاته . أن هذا الرجل الرجعى يختزن كمية هائلة من الحقد ضد الجماهير وضد أى زعيم يحوز تأييد الغالبية . أنه ارستقراطى متعال ورأيه أن الجماهير

غوغاء لا تفهم شيئاً لأنها لا تفهمه وتحتقر وترفض مواقفه . جلال الحمامصى هذا له سجل أسود فى التآمر مع القصر ضد زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا كان أداه الملك فى مؤامرة الـكتاب الأسود التى حاول فيها تحطيم سمعةمصطفى النحاس ، وهى نفس اللعبة القذرة التىأعادها مع عبد الناصر فى كتابه « حوار وراء الأسوار » وقبض ثمن تآمره لصالح الملك ضد النحاس ، وقبل ضميره أن يرشح نفسه فى الانتخابات التى أجريت بعد الاطاحة بحكم الوفد عام ١٩٤٤ وهى الانتخابات التى قاطعها حزب الوفد صاحب الأغلبية الشعبيه والتى كان معروفاً أنها مزورة ونتائجها معدة قبل إجرائها ، قبل أن يكون عضواً فى برلمان مزور ، والأنـكى أنه فى فترة هذا البرلمان طوال خمس سنوات شهدت البلاد إرهابا لم يسبق له مثيل ، وتعذيباً فى السجون واعتداء على الحرمات وتقييداً للحريات ، ومع ذلك لم يحتج بكلمة ، وإنما كان سعيداً بما يحدث » .

.. وقلت عن أحمد أبو الفتح ما يلى : —

« الوفدى السابق الذى ترك مصر وعاش فى أوربا وتعاون مع مخابرات حلف الأطلنطى ضد بلاده ، وكان سعيداً وشامتا حينما

كانت قنابل الغزو الثلاثى عام ١٩٥٦ تفتك ببنى وطنه ، والذى يدعو جهاراً نهاراً إلى عودة الرأسمالية والاقطاع ، وإلى فتح المجال أمام الاحتكارات الاجنبية لتمديد سيطرتها على اقتصاد البلاد ، أحمد أبو الفتح الذى يحرص حرصاً عجيباً على استغلال كل مناسبة للتهجم على عبد الناصر وعهده جبن عن الدفاع عن مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد والذى كان زعيما لمصر دون منازع ، والذى يعتبر واحداً من أشرف زعمائنا الوطنين ، والذى يجب أن نفتخر به كما نفتخر بعبد الناصر . أقول رغم أن أبو الفتح وفدى سابق . فانه جبن عن الدفاع عن النحاس حينما هاجمه جلال الدين الحمامصى فى كتابه « حوار وراء الاسوار » رغم أنه يدرك الدور القذر الذى كان يلعبه الحمامصى لحساب الملك السابق ضد النحاس وضد حزب الوفد ؟ وهكذا أثبت أبو الفتح أن من لا خير فيه لتاريخه ولحزبه وزعيمه ، لن يكون فيه خير لوطنه » .

. . وأعتقد أن فى هذا الكفاية للرد على أى اتهامات بمعاداة الوفد ، كما أنها فرصة لتنشيط توزيع هذه الكتب . . لقد دافعنا عن النحاس وتاريخ حزب الوفد أثناء دفاعنا عن عبد الناصر وثورة يوليو فى الوقت الذى كان فيه عدد من الوفديين يشاركون فى الحملة

المعادية لناصر وللثورة متحالفين فى ذلك مع خصومهم التاريخيين .
وفى الوقت الذى لم يجرؤ وفدى منهم على الدفاع عن حزبه وزعيمه مفضلين السلامة لان فيها منافع جمة تفوق منافع « عصا موسى » ...

. . كذلك أود أن أوضح بأن هؤلاء الوفديين تمتعوا بامتيازات لم نتمتع نحن بها ، من حيث حرية الكتابة والنشر ، فخطاب سراج الدين نشر فى كتاب وطبع فى روزاليوسف ، ونشرت له المجلات والصحف الإعلانات وهذا شىء طيب يضاف لحساب ممدوح سالم دون شك . . ولكننا لم نلق مثل هذه المعاملة التى لقيها كتاب سراج الدين ، صحيح أن كتبنا سمح بنشرها حتى فى ظل الرقابة ، ولكن التليفزيون كان يمنع الإعلان عنها بالأجر أسوة بالكتب التى تهاجم الثورة وعبد الناصر ، بل أن كتابى « صلاح نصر — الأسطورة والمأساة » رفضت حتى « روزاليوسف » نشر إعلان عنه بأوامر صريحه من عبد الرحمن الشرقاوى الذى تدخل بنفسه مستغلا منصبه كرئيس لمجلس إدارة مؤسسة روزاليوسف ، على الرغم من إننا اتفقنا مع الإعلانات على النشر ، أى أننا لم نلق مقاومة من زعماء اليمين فى الصحافة فقط ، ولكن من أحد الذين أرادوا فرض أنفسهم زعماء لليسار ومتحدثين باسمه . أو « مقاولى انفار

يساريين » بمعنى آخر ، لمجرد أن لهم مناصب صحفية ومنابر يتحدثون منها . .

ومع ذلك . وفى النهاية — فإننا ننظر بعين الإرتياح إلى إتاحة الفرصة لفؤاد سراج الدين وللوفد ، للتعبير عن وجهات نظرهم ، ولا مثالنا للرد عليهم وعلى غيرهم داعين الله أن يكون هذا الحق متاحا لجميع القوى ولكل الاتجاهات دون أية شروط مسبقة . . تاركين الحكم على صحة أو خطأ أى رأى أو اتجاه للناس وحدهم .

مستقبل القوى السياسية

بعد ظهـــور الوفد

. . وأخيراً وقع الحدث المثير الغريب ، وهو عودة فؤاد سراج الدين وحزب الوفد إلى الحياة السياسية المصرية بعد ربع قرن من النسيان ، تغيرت فيها أمور ، وتبدلت أحوال ، ضربت طبقات ، وبرز التأثير الحيوى المتزايد لطبقات أخرى كانت فى قاع المجتمع ، حدثت حروب وتطورات هائلة ، ودخلت البلاد فى صراعات رهيبه فى الخارج ، وتعرضت ثورتها فى الداخل لانشقاقات عديدة ، وتطورات مستمرة ، كان أبرزها هو قيام عبد الناصر بالإنعطاف بها نحو الاشتراكية ، والانحياز الكامل للفقراء والرفض الصريح للرأسمالية — كنظام — ابتداء من يوليو (تموز) ١٩٦١ ، عام القرارات الاشتراكية المجيدة ، وما تلاها من إجراءات لتعميق الخط الاشتراكى .

. . ولم يكن المثير هو عودة الوفد فقط ، وإنما الذعر الذى استولى على حزب الأغلبية الشعبية ، — الوسط — إذ شن كتاب الحزب وفلاسفته حملة فظيعة ضد فؤاد سراج الدين — سكرتير الحزب السابق — ورئيس الحزب الجديد ، . . بطبيعة الحال نحن

لا نناقش حق حزب الوسط فى موقفه من الوفد وسراج الدين ، ولـكن نستغرب من حالة الذعر التى إنتابته من شخص إقطاعى سابق ، و « مومياء خرجت من التابوت ، بعد أن هربت من المتحف » . . ، كما رددت جريدة مصر . . إحدى جرائد الوسط

لقد بدأ سراج الدين فى الإدلاء ببعض الاحاديث الصحفية لعدد من المجلات فى مصر ، والعالم العربى،غمز فيها الأحزاب الثلاثة الموجودة، وسماها أحزابا ورقية ليس لها أساس شعبى ، وكان هذا ما أثار حزب الوسط ، صاحب الأغلبية الشعبية ، ومن هنا بدأت الحملة على سراج الدين تنشط ، وظهرت المقالات فى الجرائد والمجلات الخاضعة تماما لحزب الوسط ، ولم يكن أمام سراج الدين أوحزب الوفد ، أى منبر يرد من خلاله على الحملات الموجهة ضده ، شأنه فى ذلك شأن الحزبين الآخرين ، التجمع الوطنى والأحرار الاشتراكيين ، ولا يعتد هنا بالقول بأن الجرائد الموجودة تنشر أى ردود تأتيها ، بدليل أن

ملاحظة : لا يعنى استخدام كلمة الوفد أن الحزب سيحمل اسمه القديم ، كما لا يعنى أن الحزب قد يتم تكوينه فى الدورة الحالية لمجلس الشعب الحالى .

الأخبار نشرت لفؤاد سراج الدين ردا على مقالات موسى صبرى ، فهذا شيء مغاير تماما لما أعنية . . وما أعنيه أنه لكى يكون هناك تكافؤ فرص يجب أن يكون للوفد ولغيره جرائد خاصه يعبر من من خلالها عن نفسه ويرد بحريه على ما يثار ضده ، لأن تتعطف عليه الجرائد بنشر رد ، أو بعدم نشره ، بدليل أنها امتنعت عن نشر كثير من ردود حزب التجمع ، حينما كان يتهم بالخيانة والعمالة والتخريب ، بل وحدث أثناء معركة إنتخابات مجلس الشعب الأخيرة ، أن ذكرت صحيفة « الأخبار » أن المرشح الناصرى كمال أحمد يصرف ببذخ آلاف الجنيهات على حملته الانتخابية دون أن أن يعرف مصدرها والمحت إلى أن جهات خارجية تموله — خاصة ليبيا — وهو اتهام تعاقب عليه الصحيفه قانونا ، وأرسل كمال أحمد رداً أوضح فيه نفقاته الانتخابية والجهات التى أعدت اليفط وغيرها، وكشفا بأسماء التجمعات الناصرية داخل مصر وكذلك أسماء الأفراد الذين تبرعوا لتمويل تكاليف حملته الانتخابية والمبالغ التى دفعوها ، وكانت تكاليف ومبالغ زهيدة ، ولكن ديمقراطية السيد / موسى صبرى التى أملت عليه التشهير الكاذب ، أملت عليه رفض نشر رد كمال أحمد ، وفى حقيقة الأمر فإننى لا أريد التوسع فى ضرب الأمثلة

عن كذب حق الرد والالتزام بالنشر ، لأن المنع هو الأساس ، بينما الإباحة هى الاستثناء . . . وإذن فالحديث عن حق تمتع به سراج الدين للرد على الحملة ضده ، أمر غير صحيح . . الحق هو فى وجود جرائد أخرى ترد على جرائد الوسط · ولم يكن الخطير فى المسألة هو أن صحافة الوسط تشن حملة ضد سراج الدين لمجرد أنه أدلى ببعض الأحاديث الصحفية ، والإعلان عن النية لإعادة تشكيل حزب الوفد من جديد ، ولكن الأمر الخطير هو فى تلك التلميحات الصريحة عن إمكانية منع سراج الدين والوفديين من تكوين حزبهم على أساس أنهم من مخلفات ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، وعداؤهم للثورة وإنجازاتها لا ريب فيه ، وبدأت تضع العراقيل ، مثل عدم السماح بعودة أحزاب ما قبل الثورة ، وتساءل البعض ، هل يعنى ذلك عدم عودة الأشخاص أم أسماء الأحزاب ، فقيل أسماء الأحزاب ، ووضع شرط آخر ، وهو ضرورة حصول أى حزب على عشرين نائبا من أعضاء مجلس الشعب فى هذه الدورة ليعلن قيامه ، وعندما تم التأكد أن هذه العقبات لن تكون حائلا أمام حزب الوفد ، اشتدت الحملة . وفى حقيقة الأمر ، فإن الحملة خدمت الوفد وسراج الدين على المستوى الشعبى ، لأن موقف حزب الوسط كان غير

مبرر على الإطلاق . . إذ ماذا يضيره من ظهور حزب الوفد مادام الاختيار قد تم على أن تكون الحياة الحزبية هى الوسيلة الوحيدة لممارسة الديمقراطية ، وماذا يخيفه مع أنه حزب الأغلبية الشعبية ! !

. . ويعتبر يوم ٢٣ أغسطس (آب) عام ١٩٧٧ ، نقطة تحول أخرى فى الموقف ، إذ قامت نقابة المحامين بالاحتفال بذكرى وفاة سعد زغلول ومصطفى النحاس ، ودعى سراج الدين لالقاء خطاب وكان معروفا أنه سيعلن قيام الحزب الجديد ، وكان الخطاب مفاجأة . . إذ قام سراج الدين برد الصاع صاعين إلى حزب الوسط، وشن هجوما صريحا وعنيفاً على رئيسه ممدوح سالم ، وسكرتيره فؤاد محى الدين ، ودافع عن نفسه إزاء الاتهامات التى توجه إليه من الوسط وصحافته ، وبالتالى فقد أصبحت المعركة بين الطرفين سافرة بعد هذا الهجوم من سراج الدين ، ودافع فى خطابه عن تاريخ حزب الوفد وعن زعيمه النحاس باشا ، كما أوضح موقف الحزب من مسألة الديمقراطية وانها تتناقض تماما مع أى قيود توضع أمامها . . ديمقراطية أو لا ديمقراطية ، وأعلن عن رفض الحزب لكل العراقيل أمام تكوين الأحزاب . .

ولم تكن هذه هى المفاجأة الوحيده ، وإنما شن سراج الدين

هجوما مريراً ضد ثورة يوليو وضد جمال عبد الناصر ولم يقتصر هجومه على سلبيات أو أخطاء الثورة ، وإنما أدانها إدانه كاملة ، وكان صريحا إذ حصر الادانه من عام ١٩٥٢ ، حتى وفاه جمال عبد الناصر فى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٠ .

. . بشكل عام كان سراج الدين متحدثا متمرساً يملك مقدرة كبيرة على ضبط أفكاره وترتيبها ، وحجة قوية للدفاع عن نفسه وعن الوفد ، وكان موفقاً فى التأكيد على حق الجميع فى تكوين ما يشاءون من أحزاب دون قيود أو ضوابط ، لأن الشعب هو الذى سيحدد أى الأحزاب ستبقى ، وأى منها سيتحول إلى مجرد يافطة على شقة . وساعده على ذلك ، التاريخ الوطنى المتميد لحزب الوفد فى الدفاع عن القضية الوطنية وعن الديمقراطية . . لأنه لم تكن هناك ديمقراطية إلا حينما يكون الوفد فى الحكم .

. . ولكن سراج الدين ارتكب خطأ فادحاً بهذا الهجوم المرير ضد ثورة يوليو سوف تثبت له الأيام أن ثمنه فادح بالنسبة إليه وبالنسبة للحزب الجديد ، . . ويدهش المرء كيف يقع فى هذا الخطأ سياسى داهية كسراج الدين لا يشك أحد فى توقد ذكائه ، وخبرته وتمرسه بالعمل السياسى الحزبى . . لقد كان واضحاً أن معركته

الأساسية هى مع الوسط ، فمحاولات منعه من تأليف الحزب تأتى من الوسط ، والحملة ضده شخصياً وضد حزب الوفد تأتى من الوسط . . وكان عليه أن يركز هجومه على الوسط ، فهذا هو الشىء المنطقى ، بل هذه هى أولويات العمل السياسى . ومن أولويات العمل السياسى كذلك عدم توسيع جبهة الخصوم وتحييد من يمكن تحييدهم وعدم اكتساب عدائهم . . ولكنه نسى هذه القاعدة الأساسية فى العمل السياسى. واستفز قوى سياسية أخرى غير الوسط وبالذات الناصريين ، فإذا كان حزب الوسط يهاجم سراج الدين والوفد، فانه يبدى عداء رهيبا نحو الناصريين وكافة القوى التقدمية، ولم يتوان عن اتهامهم بالخيانة والعمالة ، ونفس الكتاب والفلاسفة الذين هاجموا سراج الدين والوفد هم الذين يهاجمون الناصريين والقوى التقدمية الأخرى ببذاءة لم تعهدها مصر من قبل ، وهم الذين نظموا الحملات العاتية ضد الثورة ، وتشويه جمال عبد الناصر متحالفين فى ذلك مع جهات أخرى غير مصرية ، واتهموا عبدالناصر بأنه كان يطبق تجربة اشتراكية مستوردة ، وفاشلة وأن عهده كان عهد خراب وإفلاس ، وكبت وإهدار للحريات وسرقات لأموال الناس وبث للحقد بين الطبقات . . الخ . . إلى آخر هذه القائمة من

الاتهامات التى لا تستحق إلا الاحتقار ، والتى لا يمل هؤلاء الناس من ترديدها بعد أن أصيبت الجماهير بالقرف من استمرار ترديدها طوال عدة سنوات .

أن سراج الدين قد فتح النار على الناصريين رغم أنهم لم يبادوره بالعداء ، وهذا معناه ببساطة شديدة تقوية الوسط ضده ، فهذا الاستفزاز يمكن أن يؤدى إلى دخول الناصريين ضد حزب الوفد فى معركة ، ودخولهم المعركة سيؤدى بالضرورة إلى أحراج كافة القوى التقدمية الأخرى ودفعهم إلى دخول المعركة ولو ضد رغباتها وحساباتها الخاصة التى تملى عليها عدم الاشتباك مع حزب الوفد أو تقديم أى دعم للوسط على الأقل فى هذه المرحلة . وإلا فانهم سيتهمون بالتخلى عن أهم وأخطر قوة بين القوى التقدمية ولأن كل القوى التقدمية دون أستثناء تدافع عن كل الانجازات التقدمية والإيجابية لثورة يوليو وزعامة عبد الناصر كما سيتهمون بمساندة حزب يمينى هو حزب الوفد . وهى الصورة التى عكسها خطاب سراج الدين بوضوح شديد .

وهكذا بدلا من أن يحصر سراج الدين المعركة ضد الوسط،

استفزار قوى أخرى ، وبدلا من أن يركز على الديمقراطية هاجم كل الإنجازات التقدمية للثورة . فخسر حلفاء كثيرين وأحرج آخرين يريدون الديمقراطية بأوسع معانيها كما يطالب سراج الدين والوفد، وفى نفس الوقت يطالبون بالمحافظة على الاشتراكية وتعميقها .

. . وإذا كان سراج الدين قد وقع فى خطأ بهذا الهجوم غير المبرر على الثورة وتاريخها ، فإنه ساهم إلى حد كبير فى خلط أوراق اللعبة السياسية فى مصر ، وأثاره الغموض حول مواقع القوى السياسية ، فكما استفز سراج الدين الناصريين بشكل غير مبرر ووضع القوى التقدمية الأخرى فى مأزق لأنه قد يفرض عليها دخول المعركة ضده ولو مجاملة للناصريين وتلافى إغضابهم فإنه أثار بهجة الناصريين وغيرهم بهجومه على الوسط ، إذ أن هجومه كان جريئاً وعميقاً ، مما أوقع الوسط فى حرج شديد ، وألب عليه قوى كبيرة ترفض تماما محاولات إدانة تاريخ حزب الوفد لأنها ترى فيها إدانة لحقبة من تاريخ الشعب المصرى . . كذلك فإن سراج الدين أحرج الوسط ، حينما وضعه أمام اختبار صعب فى مسألة الديمقراطية، وجعل الذين يدافعون عنه هم كتاب ومحفيوا أحزاب الأقليات التى كانت

مكروهة قبل الثورة ، وكرهت بعد حملاتها القاسية ضد عبد الناصر والإنجازات التقدمية لثورة يوليو .

ولكن من ناحية أخرى فإن سراج الدين قد ألقى للوسط بفرصة ذهبية حينما هاجم وأدان ثورة يوليو ، إذ بادر الوسط بالتركيز على هذه القضية ، وعلى أن الاقطاعيين والرأسماليين يريدون تصفية الثورة والقضاء على المكاسب التى تحققت للعمال والفلاحين ، وأخذ فى إثارة مخاوف العمال والفلاحين والطلاب من الوفد وعودته ، وطمس تماما مسألة الديمقراطية التى يريد لها أن تكون شكلية فقط ، ويرفض أن يتيحها لكل القوى السياسية الأخرى واضعاً العراقيل والعقبات المبتكرة والتى تجعلها ديمقراطية لا نظير لها فى العالم بحيث صارت اختراعاً مصرياً صميما فى عا ظريات السياسية .

. . ولم يقع سراج الدين وحده فى الخطأ حينما لم يكتف بتركيز هجومه على الوسط ، وعدم استشارة الآخرين . إذ لحق الوسط به ، فهو لم يكتف باصطياد سراج الدين ومحاصرته فى قضية هجومه على الثورة وتركيز الهجوم على الوفد ، وإنما استمر فى فتح النار على الناصريين وغيرهم ولم ينس عداءه المميت حتى وهو فى هذا المأزق

الخطير الذى يعانيه ، ووضعهم جميعاً فى صف واحد . . الوفديون ، والناصريون وكل القوى التقدمية ، والغريب فى الأمر أن الوسط لم يجد غير لافتة ثورة يوليو وإنجازاتها التقدمية ليحتمى بها من هجوم الوفد . . وأما الإخوان المسلمون فإنهم بادروا بتقديم الدعم للوسط بطريقتهم الخاصة ، حينما شنوا هجوماً شديداً على فؤاد سراج الدين دون أن يذكروا أسمه فى عدد مجلة الدعوة . . أول شوال . . فى الباب الثابت الذى ينشرونه تحت عنوان « الإخوان المسلمون . . من صفحات الأمس » وهو الباب الذى يقومون من خلاله بتزييف مضحك للتاريخ . لأنهم ينشرون عن المواقف التى تعرضوا فيها للاضطهاد على يد الحكومات المختلفة ، دون أن يشيروا إلى تاريخهم المخزى فى تأييد حكومات الأقليات والقصر الملكى فى معظم الأوقات . . إذ نشروا فى عدد شوال عن رفض حزب الوفد وسراج الدين الاعتراف لهم باسترداد المركز العام الذى كان السعديون قد استولوا عليه منهم . ولنعرف مقدار التزييف والكذب الذى يلجأون إليه فى كتابة التاريخ لتبييض صفحتهم . جاء فى المقال ما يلى مشيرا إلى انتخابات عام ١٩٤٩ .

«وأخيراً تجرى الانتخابات ويعود الوفد إلى الحكم على أكتاف

الإخوان المسلمين وبعد أن بذل سكرتيره العام الوعود بعودة جماعة الاخوان ورد الأموال المغتصبة . . » .

. . وهذا الكلام لا يستحق مجرد التوقف عنده ، لأن شعبية حزب الوفد الكاسحة لا تحتاج إلى نقاش ، ولم يكن الأخوان المسلمون ولا غيرهم شيئاً بجانب شعبية الوفد ، حتى يكون الوفد فى حاجة إلى أكتاف الأخوان ليصعد عليها . والوفد لم يتحول إلى تنظيم دينى أو يتاجر بالدين ليصل إلى قلوب الناس . وإنما ظل معادياً لوجود فكرة حزب دينى ومع ذلك كانت الغالبية الساحقة معه . .

ومن الأمور الغريبة أن هؤلاء الناس الذين يفترض فيهم الصدق فى القول والرواية كأحد الصفات الملازمة لأى مؤمن . نجدهم يلجأون إلى الكذب فى غالبية رواياتهم عن تاريخهم السياسى فلقد كانوا مؤيدين للقصر الملكى والأحزاب الأقليات فى معظم مواقفهم وتاريخهم ، ضد حزب الوفد والحركة الوطنية وكانوا يلعبون دور الأداة . وحينما كانوا يريدون التحول من دور الأداة

إلى أن يلعبوا لحسابهم كان يتم ضربهم ، ومن تحالفاتهم المشينة ، وقوفهم مؤيدين لاسماعيل صدقى باشا ، جزار الشعب وعدوه رقم ١ والذى كانت فترات حكمه من أسوأ الفترات التى إنتهك فيها الدستور وأطلق فيها الرصاص على المتظاهرين ومصادرته الصحف — وإلى غير ذلك من أشكال القمع . ووصل بهم الأمر أن أعدوا له إستقبالا فى جامعة القاهرة حشدوا فيه عناصرهم الطلابية ووقف زعيم الطلبة الأخوانيين فى الجامعة وهو مصطفى مؤمن يخطب مرحباً بالطاغية عدو الشعب ، وشبهه بالأنبياء مستخدماً الآية الكريمة التى تقول . « وأذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » .

وحينما عقد صدقى الاتفاقية مع بيفن وزير الخارجية البريطانية وهو الاتفاقية التى رفضها الشعب المصرى كله وأطلق عليها إتفاقية الخيانة . أطلق الأخوان المسلمون عليها إسم « صالح الحديبيه . أى شبهوها بالصلح الذى عقده الرسول (صلعم) مع كفار قريش وهكذا . بعد أن شبهوا الخائن صدقى بالنبى إسماعيل ، عادوا وشبهوا إتفاقه بإتفاق الرسول ! !

وإندلعت المظاهرات فى البلاد كلها ضد هذه الاتفاقية ، ولم

يجد الخائن صدقى من يقبل بالوقوف معه غير الاخوان المسلمون .
ويروى صلاح الشاهد فى كتابه « ذكرياتى فى عهدين » صفحة ٤٨ — ٤٩ ما يلى .

« عندما توصل إسماعيل صدقى باشا مع مستر بيفن إلى التفاهم على الخطوط العريضة لمشروعهما توهم أن الاخوان المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن ، فإستدعى المرشد العام (المرحوم الشيخ حسن البنا) بعد وصوله من لندن بساعتين ، وأطلعه على مشروع الاتفاقية قبل أن يطلع عليه النقراشى وهيكل المشاركين له فى الحكم وحصل على موافقته على المشروع ، وهنا أحس المرشد العام بأنه أصبح زعيما فوق الأحزاب لدرجة أن عرض عليه مقابلة النحاس باشا فطلب أن يذهب النحاس باشا إليه ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة طلب صدقى باشا من المرشد العام أن يركب سيارة سليم زكى باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ليعمل على تهدئة الجماهير واستجاب المرشد العام لطلب صدقى باشا» .

وحين تدعى مجلة الدعوة أن حزب الوفد نجح فى إنتخابات عام ١٩٥٠ على أكتاف الاخوان المسلمين تنسى أن تذكر حقيقة

هامه وهى أن كل مرشحى الاخوان سقطوا فى هذه الانتخابات .
فكيف يصعد الوفد على أكتاف جماعة فشلت فى إنجاح نائب
واحد لها ؟!

• وقد وصل الإفلاس بجريدة الجمهورية ـ إحدى جرائد
الوسط ـ إلى حد إعادة نشر جزء كبير من مقاله « الدعوة » بعددها
الصادر ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ تحت عنوان «الإخوان المسلمون
والوفد » قالت فيه : —

• نشرت مجلة « الدعوة » التى تنطق باسم جماعة الاخوان
المسلمين فى عددها الأخير المقال التالى . . وقالت الجريدة ـ وهذا
نص المقال .

« أجرى حسين سرى باشا الانتخابات وعاد الوفد إلى الحكم
على اكتاف الاخوان بعد أن بذل سكرتيره العام فؤاد سراج
الدين الوعود بعودة جماعة الاخوان المسلمين ورد الأموال المغتصبة..
الخ . »

والملاحظ هنا أن الجمهورية قالت عن الدعوة أنها تنطق باسم

جماعة الاخوان المسلمين على الرغم من أنه لم يعلن عن قيام التنظيم على العكس تعلن الحكومة أنها لن تسمح بقيام أى تنظيم على أسس دينية ! !

والملاحظة الثانية أن جريدة الجمهوريه غيرت فى كلام مجلة الدعوة . ولقد أوردنا نقلا عن الدعوة ما قالته ـ بينما أضافت الجمهورية من عندها إسم سراج الدين ، بينما لم تذكره الدعوة بالاسم » ! !

.. المهم فى الأمر أن الوسط لقى دعماً من الاخوان ضد الوفد، على الرغم من أن الاخوان غير راضين لعدم السماح لهم بالعمل كحزب سياسى ، ويتلمظون غيظاً من هجوم الحكومه على الجماعات الدينية خاصة بعد حادث التكفير والهجرة . ولكنهم فى ظل الوسط حصلوا على مالم يحصل عليه غيرهم . . حصلوا على مجلة علنية جندت للهجوم على الثورة وعلى جمال عبد الناصر ، وعلى الاشتراكية . وحصلوا على أغضاء الوسط الطرف عنهم ما داموا يركزون جهودهم ضد الناصريين وضد كل القوى التقدمية الأخرى.. فى الوقت الذى يرفض الوسط منح أفراد أخرى حق إصدار صحف

ومجلات منح إثنين من الإخوان المسلمين حق إصدار مجلة الدعوة .
ولم يحتج أحد من فلاسفة الوسط الذين يقولون أن السماح للأفراد
باصدار الصحف والمجلات يعنى بالضرورة أنها تمول من الخارج . .
لم يسأل أحد لماذا يستثنى إثنان من الاخوان المسلمين ويسمح لهما
بإصدار مجلة بينما يحظر على كل مصرى آخر من غير الاخوان
المسلمين أن يتمتع بهذا الحق ؟ ولم يسأل أحد من أين تمول هذه
المجلة ؟ بل أين كانت حماسة الوسط وغيرته على ثورة يوليو ومجلة
الدعوة ليس لها من هم إلا تجريم الثورة وإدانتها إدانة كاملة ؟
وما هى المبررات التى تدفع الوسط إلى محاباة الاخوان المسلمين
ومنحهم هذه الامتيازات ومعاملة باقى المصريين كمواطنين من
الدرجة الثانية ليس لهم حق إصدار الصحف والمجلات وإعطائه
لأفراد من الاخون المسلمين ؟

على كل حال . فإن الإخوان بادروا برد الجميل لحزب الوسط
لأنهم يضمون أنفسهم فى عداء شرس مع الناصريين والوفديين
وكافة القوى التقدمية الأخرى . أى هم الوحيدون الذين يشاركون
الوسط فى هذا الموقف . .

. . انها صورة تعتبر مرهقة لمن يريد رصد جزئياتها بدقة

وتحليلها ورسم السياسات بناء عليها . فهذه الصورة تعنى أن الوفديين والناصريين وكافة القوى التقدمية الأخرى يعادون الوسط فى مسألة الديمقراطية . والناصريون وكافة القوى التقدمية الأخرى تعادى الوسط والوفد لمعاداتهما للثورة فى خطها الاشتراكى ، ولكن عداءهم للوفد مؤجل ، لأنهم يريدون حق العمل العلنى فى أحزاب معترف بها ويؤيدهم الوفد دون تحفظ فى ذلك . بينما الوسط يعارض ولا يريد لأحد أن يعمل عملا حقيقياً ، يريد ديكورات فقط والاخوان المسلمون لايريدون لأحد أن يعمل . هم الذين من حقهم العمل فقط ، لأنهم حزب الله ، والباقى أحزاب الشياطين .

* * *

. . وبطبيعة الحال يتساءل البعض .

هل يعنى ذلك احتمال قيام جبهة تضم الناصريين والوفديين وكافة القوى التقدمية الأخرى ضد حزب الوسط والاخوان المسلمون بحيث يكون هدفها وشعارها المرحلى . اقرار الحقوق الديمقراطية لكافة القوى السياسية دون أى قيد أو مايسمى بالضوابط وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار امكانية وجود عناصر تقدمية فى الوفد تضغط فى اتجاه اجراء مصالحة مع الناصريين ؟

.. هذا سؤال واحتمال . وهناك سؤال واحتمال آخر وهو :

هل يمكن أن يقوم الوسط بعمل جبهة مع الناصريين والقوى التقدمية الأخرى تحت شعار المحافظة على انجازات الثورة لمواجهة خطر الوفد ، وبعد تقديم التنازلات المرضـــية للناصريين وغيرهم وأقلها حقهم فى إقامة أحزاب خاصة بهم ليسحب البساط من تحت أقدام الوفد . ومنها التخلى عن بعض السياسات الداخلية والخارجية التى يعترض عليها الاثنان ، وإجراء تصفية لبعض العناصر داخل الوسط والمعروفة بعدائها ومناوئتها للناصريين ؟

.. وهناك سؤال واحتمال ثالث . وهو المفرض جدلا أن الوسط تخلى عن موقفه المتشدد المعادى لحق كافة القوى فى إقامة ما تشاء من أحزاب فهل يمكن أن يقيم جبهة مـــع حزب الوفد ، لمواجهة الناصريين والقوى التقدمية الأخرى التى ستكون المنافس الرئيسى والشديد الخطورة ؟

وهناك سؤال واحتمال رابع وهو .. إذا حدثت مثل هـــذه المتحالفات والتطورات فهل ستترك أثرها على قيادات الأحزاب

وشكلها التنظيمي كما هو أم سيترتب عليها تغييرات لمواجهة التطورات المستجدة ؟

. . أيا ما كان الشكل الذى ستشهده عملية الجبهات والتحالفات والخصومات السياسية فى البلاد إذا ماقدر لتجربة الأحزاب أن تسير فى اتجاهها السليم من جهة ، أو لم تعصف بها أحداث معينة من جهة أخرى . . فان الخاسر الوحيد والمؤكد خسارته هو حزب الوسط ، والأحرار الاشتراكيين ، والرابح الوحيد هم الناصريون أساساً وجبهة اليسار بشكل عام ، يليهم الوفديون لعـــــدة اعتبارات رئيسية : —

أولا : أن حزب الوفد لن يقوم إلا على حساب الوسط فى الأساس . ويكفى أنه سيسحب منه أكثر من ثلاثين عضواً من أعضاء مجلس الشعب ، وفى أقوال أخرى أربعين : ومهما اختلفت التقديرات فى عدد النواب الذين سينسلخون من الوسط وينضمون للوفد ، فانهم قوة لم تسحب إلا من صفوف الوسط لحساب الوفد . وكذلك فان أحداً لا يستطيع التنبؤ بما إذا كان الناصريون بدورهم سيسحبون عدداً آخر من نواب الوسط أم لا ، ولكن المؤكد ،

أنهم سيسحبون الكثيرين من الذين انضموا للوسط ، لعدم وجود حزب ناصرى ، ولأنهم لايريدون الانضمام لحزب التجمع الوطنى نظراً لوجود حساسية لديهم نحو الشيوعيين كأحد العناصر المكونة له ، وإما اتقاء لغضب الحكومه ونيل رضاها . لأن الحكومة هى الوسط ، والوسط هو الحكومة وهذه العناصر غالبيتها من الشباب والعمال .

ثانياً : لو أن الوسط اضطر إلى اجراء مصالحة مع الناصريين والقوى التقدمية الأخرى لمواجهة الوفد ، فان ذلك سيكون اقراراً بعجزه عن مواجهة الوفد منفرداً ومعتمداً على قواه الذاتية وهذا التحالف لابد له من ثمن كبير حتى يمكن قبوله من جانب الناصريين وغيرهم وهو كما قلنا ضرورة لجوء الوسط إلى التخلص من كثير من عناصره القيادية والصحفية التى أصبح بينها وبين الناصريين ثأر بحيث يصبح وجودها داخل الوسط ، مثيراً للشكوك فى جديه أى رغبة فى الحوار والتعاون . . وهذه العناصر ستعمل بالضرورة لتأزيم العلاقات بين الطرفين لمعرفتها بأنه سيطاح بها كجزء من الثمن الواجب دفعه من الوسط . . وفى كل الأحوال فان الوسط هو المضطر والتراجع بحيث يصبح وجوده غير ضرورى خاصة للتشابه الكبير

بينه وبين الناصريين أساساً إذ لا معنى لوجود حزبين متشابهين فى جبهة واحدة . .

ثالثا : إذا تحالف الوسط مع الوفد ، فانه سيتحالف من موقع الضعيف الذى يستنزف من قبل الوفد ويريد وقف هذا النزيف . من جهة والاحتفاظ بالحكومة من جهة ثانية ، مما سيفرض عليه تقديم تنازلات قاسية للوفد ، وبحيث يتشابه مع الوفد فيكون وجوده غير ضرورى ، لأنه لا معنى لوجود حزبين متشابهين فى جبهة واحده ، قد يندمجان ، ويكون الإندماج لصالحة الحزب الأكثر حيوية والأكثر تمرساً بالعمل الجماهيرى وهذا التحالف أو الاندماج سيؤدى بدوره الى انشقاق كثير من عناصر الوسط وذهابها إلى الناصريين أساساً، فكما أن تحالف الوسط مع الناصريين سيترتب عليه أقصاء كثير من عناصر الوسط المناوئه والمعروفة بعدائها التقليدى لهم ،فان تحالف الوسط مع الوفد سيؤدى إلى نفس النتيجة أى إنسلاخ عناصر تحس بأنها أشد قربا للناصريين ، وإنسلاخ عناصر أخرى عديدة لا توافق على العمل فى جبهة مع الوفد أن لأن الوفد لن يوافق على التعامل معها إلا إذا قام الوسط بالتخلص منها وخاصة العناصر التى كانت تنتمى إلى أحزاب الأقليات والتى تحتل مناصب كثيرة ومراكز حساسة داخل الوسط . وبينها وبين الوفد ثأر تاريخى ، نجدد فى

فى هجومها مرة ثانية على الوفد وسراج الدين .

رابعا : إذا رفض الوسط فكرة التحالف والجبهة مع الناصريين أو الوفد ، وأختاران يعمل منفرداً فى مواجهة هذه القوى فانه كما قلنا معرض لظاهرة الإنشقاقات داخل صفوفه والإنضمام إلى الناصريين والوفد مما سيضعفه ، والأهم من ذلك ، أن الوسط الذى تم تشكيله بشكل علوى وفى حضن السلطة لن يستطيع مواجهة أحزاب نشأت بشكل جماهيرى ، وخاصة الناصريين الذين سيشكلون مع الوفديين الخطر الدائم على الوسط فى حالة عمله منفرداً . فالناصريون يعتمدون على تجربتهم الاشتراكية ، التى يهاجمها الوسط باستمرار ويعمل على احلال نظام رأسمالى مكانها ، وهى رغم السلبيات التى شابتها ، إلا أنها كانت تتجه أساساً لخدمة الجماهير العريضة الفقيرة ، كما أنهم سيكونون المدافعين المعتمدين من قبل الجماهير والقوى السياسية المخالفة لهم ، عن إنجازات الثورة ، ولديهم الكثير من الإنجازات والإيجابيات التى يفاخرون بها والتى أصبحت جزءاً من نضال الشعب وتاريخه الحى ، كذلك فإن زعامة عبد الناصر وشعبيته الهائلة توفر لهم غطاء شعبيا ضخما سيسهل لهم مهمتهم ، وأشتباكهم مع الوسط فى معركة ، وكون الوسط يضم عناصر كثيرة معادية للثورة وتورطت فى الحملة ضد

عبد الناصر وكراهية الشعب لها ، ستؤدى إلى اضطرار الوسط لأن يدافع عن العناصر المعادية للثورة وللخط المعادى للاشتراكية ، وإذا صمم الوسط رغم ذلك على الدفاع عن ثورة يوليو فانه لن يدافع إلا عن الفترة التى لم تشهد قيام عبد الناصر بتسديد الضربات إلى الرأسماليين وكبار الملاك ، أى ستكون هناك ثورتان . الوسط يتبنى ثورة يوليو ويرفض ويدين إتجاهها الاشتراكى ، والناصريون يتبنون الثورة باتجاهها الاشتراكى ، والوطنى ، وليس هناك أدنى شبهة فى أن الغالبية الساحقة من الفقراء سينحازون بالضرورة إلى من يريدون أنصافهم ..

.. وأما الوفديون فانهم يعتمدون بدورهم على تاريخ حزبهم المشرف ، وعلى شعبيتهم التى كانت لهم ، وعلى زعامة مصطفى النحاس كذلك فانهم يعتمدون على إيمانهم بالديمقراطية وتوفيرها للجميع بما فيهم الخصوم وأنه نشأ نشأة شعبية ، وبالتالى فسيكون أقدر على جذب العناصر الوسطية غير الناصرية وعلى الأخص جذب اليمين المصرى ، واعتباره أى الوفد — المعبر الحقيقى والفعال للرأسمالية وكبار الملاك فى نموها المستمر هذه الأيام ، وأنه الحزب القادر على توفير قاعدة شعبية لليمين وقادرا بسبب — ديمقراطية —

ولوجود عناصر داخله ذات إتجاه تقدمى على فتح حوار مع القوى التقدمية الأخرى ، للتخفيف من حدة عدائها حتى يأمن اليمين على نفسه من الاحتمالات غير المتوقعة بسبب تذمر هذه القوى وعدم رضاها أو إحساسها بأنها مضطهدة ، وفقدان قنوات التفاهم مع اليمين ، أى أن الوفد سيكون بامكانه أن يكون المعبر المقبول عن الرأسمالية المصرية والذى لا يستحوذ على عداء الناصريين وغيرهم حتى لا تكون هذه الرأسمالية عرضه فى يوم من الأيام لانتقام مفاجىء . .

. . إذاً فالوسط لو اختار العمل منفرداً فانه سيتفكك تماما خاصة وأن رئيس الجمهورية سيكون على الحياد فى هذه المنافسة . . واذا ما كان الوفد سيكون موئل الرأسمالية بحيث لا يكون هناك مبرر للوسط فان حزب الأحرار الاشتراكيين ان يكون له لزوم . .

. . إن النتيجة النهائية التى ستتمخض عن هذا كله . هى وجود حزبين أساسيين ، هما ـ حزب ناصرى اشتراكى ، وحزب يمينى قوى وفعال هو الوفد . . وستكون هناك أحزاب كثيرة أخرى من اليمين ومن اليسار ، ستكون على يسار ويمين الناصريين وعلى يسار ويمين الوفد . . أى سيكون الحزب الناصرى هو قائد

التحالف الاشتراكى الذى يضم الأحزاب الاشتراكية ، وسيكون الوفد هو قائد التحالف الرجعى الذى يضم كل الأحزاب اليمينية .

ويبدو أن احساس الوسط بالأخطار المحدقة به هو الذى جعله يشن هذه الحملة العنيفة ضد الوفد وسراج الدين ، والتى كان محورها الدفاع عن ثورة يوليو التى تعرضت للهجوم . والأمر الغريب أن صحف حزب الوسط قد كتبت فيها مقالات تدين الثورة إدانة كاملة وتعتبرها شرا وهذا الكلام نشر بجريدة الأهرام بقلم ثروت أباظة ، والذى اختاره الوسط فى لجنته الثقافية بعد أن هاجم عبد الناصر وثورة يوليو هجوماً أشد مرارة من هجوم سراج الدين . وعدد من الكتاب قالوا بأن سنوات الثورة كانت سنوات عار وهوان ، ومع ذلك ضمهم حزب الوسط إلى صفوفه . بل إن مجلة « الدعوة » طالبت بمحاكمة المشاركين فى الثورة ، دون أن تنبرى جريدة أو مجلة من الوسط للتعرض لها . . وهذا ما يجعلنا نقول بأن رد الوسط على سراج الدين لأنه هاجم الثورة ، عمل مفتعل لأن على الوسط أن يقوم بطرد الكثير من عناصره التى يعتبر سراج الدين معتدلا بالنسبة لعدائها لثورة يوليو ، مادام الوسط يعتز بها كل هذا الاعتزاز .

.. ولكن الحقيقة، ان الوفد يشكل البديل الأكثر ديناميكية وقدرة على تأمين قاعده شعبية لليمين .

.. وعلى كل حال فان هذا التحليل سيفقد قيمته إذا لم نأخذ فى الاعتبار المشاكل التى تعانيها البلاد ، والمصاعب التى يواجهها الناس . فمصر تواجه مشكلة وطنية ، هى الاحتلال الإسرائيلى لجزء من أراضيها ، وتعانى مشكلة إقتصادية طاحنة تترك تأثيرات خانقة على الغالبية الساحقة من الشعب . وهاتان المشكلتان ستحددان إلى حد كبير مستقبل كل القوى السياسية ..

.. لو استمرت اللعبة السياسية والصراع السياسى بين الأحزاب دون إيجاد حل لهاتين المشكلتين فسينتهى الأمر بالقضاء نهائياً على الحياة الحزبية ، وأما إذا نجحت الأحزاب السياسية فى التكاتف فيما يختص بايجاد حل للمشكلة الوطنية على أساس أنه لن يحدث خلاف كبير بينها فان التجربه الحزبيه ستجتاز أهم عقبة أمامهم .

.. وسيبقى بعد ذلك أخطر إمتحان ، وهو إيجاد حل للمشكلة الاقتصادية . فالحزب ، أو مجموعة الأحزاب التى ستنجح فى حل هذه المشكلة هى التى سيكون لها المستقبل ، وستكون لها الأغلبية ،

وحتى لو افترضنا أن حزبا من الأحزاب نجح في حل المشكلة الوطنية فليس ذلك شرطاً لاستمراره في السلطة أو تمتعه بالأغلبية ، صحيح أنه سيربح كثيراً من وراء هـذا الانجاز الوطني الـكبير ، ولـكن ما ان تنتهي هذه المشكلة حتى يطالب الناس بحـل مشا كلهم الاقتصادية ، وهم سيسقطون الحزب الذي حل المشكلة الوطنية إذا ما فشل في حل مشا كلهم الاقتصادية . فالسياسة ليست خطابة ، ولا براعة في فن المناورات ، والناس لا تستهويها الخطب الرنانة طويلا ، ولا الأحاديث المنمقة عن الديمقراطية والحرية ، ولن تتوقف أمام الحديث عن الانجازات السابقة .. السياسة من وجهة نظر الناس هي إيجاد حل لمشا كلهم .. أنهم مع الحزب الذي يحل هذه المشا كل ولن يكونوا مع الذين فشلوا في حلها ...

ولهذا فان المعركة الحقيقية ، والحاسمة ستتركز حول المشكلة الاقتصادية ، ولا يصعب التنبؤ بنتيجة هذه المعركة ، .. ان مصر لن تحل مشكلة الفقر فيها أية حلول رأسمالية ، ولن يحل كبار الملاك الأزمة الطاحنة التي تعانيها الغالبية الساحقة من الجماهير الفقيرة ، لا حل الا بالمزيد من الإشتراكية ..

ولهذا فهزيمة اليمين المصرى مسألة محتومة ، وإنتصار القوى الاشتراكية مسألة محتومة كذلك . لقد جربت مصر الحل الرأسمالى وفشل ، وبعد قيام الثورة منحت إمتيازات هائلة لرؤوس الأموال الخاصة والأجنبية ، للمساهمة فى التصنيع ، فاتجهت إلى المضاربة وإلى الاستثمار فى المشاريع التى تحقق ربحا سريعا . مما أضطر النظام إلى الاتجاه نحو الاشتراكية وسار شوطا لا بأس به ، ولكن ظروف الحصار الأجنبى والحرب لعبت دورا فى عرقلة التنمية كما كان مقدرا لها . . . ورغم ذلك فإن الاختيار الاشتراكى هو الطريق الوحيد للخروج من الأزمة .

. . أن عود الرأسمالية وتحكم كبار الملاك وعودة الاحتكارات ورؤوس الأمـــوال الأجنبيـــة لن تؤدى إلا إلى مزيد من الفقر ، ومزيد من الاذلال ، والتبعية وتحطيم الصناعات الوطنية. وكل الأمال المعقود على نتائج عـودة الرأسمالية هى آمال كاذبة ، فلا أمريكا ولا الغرب سيساعدان فى تصنيع مصر ، وتقدمها ، كل ما سيقدمانه هو بعض الأغذية ، والمساعدات التى لن تبنى صناعة قوية ، بل ستعرقل قيام هذه الصناعة .

. . خلاصة القول . أن محاولات إعادة الرأسمالية لحكم مصر وربط مصير البلاد بالاقتصاد الأمريكي والأوروبي الغربي ستلاقي فشلا ذريعاً . . وبالتالي فإن الأحزاب السياسية اليمينية مهما تخفت وراء شعارات اشتراكية ليس لها مستقبل، والمستقبل للاشتراكية وإستمرار التجربة التي بدأها عبد الناصر وتطويرها وتعميقها . أي مزيد من الانحياز للفقراء، وبالضرورة سيكون المستقبل للاحزاب السياسية الاشتراكية . . ومن هنا ليس صعبا الحكم على مستقبل القوى السياسية .

٣ ـ الناصرية ـ الوريث الطبيعى للوفد

. . أنني من المصابين بحساسية مرضية تجاه أي محاولة لتشويه وإدانة تاريخ حزب الوفد ، وزعيمه مصطفى النحاس باشا ،لا يقل عن حساسيتي تجاه الحملة المدبرة لتشويه عبد الناصر وثورة يوليو، وأحس أنه ليس نقـدا ، ولا خلافا في الرأى أو التقييم ، وأنما هو محاولة متعمدة ، لتشويه تاريخنا الوطني ، وتسخيف تضحيات شـعبنا التي قدمها باستمرار ، وتشويه زعمائنا العظام الذين أعطاهم الشعب تأييدا وثقة وحبا لا حدود له ،. . نفس الشيء ينطبق على ثورة ١٩١٩وسعد زغلول ، والثورة العرابية وأحمد عرابي ، وغيرهم من الزعماء الذين حازوا على تأييدا لغالبية الساحقة من شعبنا ، والذين يقومون بهذه العمليات يهدفون إلى تشكيكنا في أنفسنا وفي جدوى تضحياتنا على مر الأجيال ، .. فما معنى تشويه وتدمير النحاس وجمال عبد الناصر، غير تشكيك الغالبية الساحقة من الشعب في سلامة أحكامها وعواطفها ومبادئها ؟ مامعنى أن يقال عن زعيم كالنحاس من باشا ظل زعيما لمصر دون منازع أكثر من ربع قرن ، للقضية الوطنية ، وأنه وزوجته إستغلا نفوذهما في الأثراء ، وشراء فرو لزوجتـــــه من لندن كما جاء في الـكتاب الأســــــود الذى أعده مكرم

عبيد وجلال الحمامصى بأوامر من أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى ؟

.. المعنى الوحيد ، أننا شعبا أبله . ضلل هذه المدة الطويلة وهو لايدرى شيئا عن أن الذى أعطاه حبه وتأييده لا يستحق كل هذا العطاء !!

. ثم مامعنى أن تتكرر نفس المحاولة بالنسبة لجمال عبدالناصر؟. أن يقال عنه أنه مخرب وسفاح ومدمر وحاقد ولص له حسابات سرية فى البنوك الأجنبية ودجال؟مامعنى أن يعطى الشعب مثل هذا الرجل هذا التأييد الأسطورى والحب الغـلاب أكثر من أربعة عشر عاما متواصلة ، لم يهتز تأييده وحبه له حتى بعد أن زف عبد الناصر بنفسه نبأ الهزيمه للشعب وأعلن مسئوليته عنها ؟

.. ألا يعنى ذلك أننا شعب لايحسن الحـكم على قادته ؟

.. ومامعنى تشويه تاريخ حزب الوفد والتشكيك فيه ؟ وما معنى تشويه يوليو والتشكيك فيها ؟

ألا يعنى ذلك التشكيك فى الحركة الوطنية المصرية التى كان حزب الوفد حتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، هو المعبر الأساسى عنها والذى كان يقود الشارع المصرى ؟ . وألا يعنى التشكيك فى الحركة الوطنية المصرية التى إنتقلت قيادتها من الوفد إلى ثورة يوليو ؟ وألا يعنى التشكيك فى الإنجازات العظيمة التى حققتها الثورة للحركة الوطنية بتصفيتها للسيطرة الاقتصادية الأجنبية وتأميم وتمصير المصالح الأجنبية وقناة السويس ، وإجلاء الاحتلال البريطانى وتلك المكانة العظيمة التى أصبحت لمصر ؟ وألا يعنى التشكيك فى الإجراءات التى إتخذت لمصلحة الفقراء من عمال وفلاحين ، والبدء فى تحطيم تحكم الرأسمالية وكبار الملاك ، وتسخير أجهزة الدولة بشكل متزايد لصالح الفقراء ؟

مامعنى تشكيك الناس فى كل ذلك ؟

معناه الوحيد أن تاريخنا كان حلقات متواصلة من العار والفشل والخراب والسرقات . وزعماؤنا كلهم كانوا دجالين وقراصنة . ونحن شعب أبله لايجيد إلا شيئاً واحدا . . وهو أن يكون هدفاً للافاقين .

. . هل يمكن لانسان يزعم أنه يحب هذا البلد ، وهذا الشعب

أن يمارس هذا العمل الشائن القائم على الأكاذيب وتزييف الحقائق وتزوير التاريخ ؟

.. إن الذين مارسوا هذا العمل إنقسموا قسمين :
الأول عماله للاستعمار والقوى أجنبيـة تريد تحطيم النضـال الشعبي وهز ثقة الناس فى أحزابها وحركاتها الشعبية وقياداتها .

والثانى ، من ينتمون لأحزاب الأقليا ت التى عرضت عنها الغالبية الساحقة من الشعب ، . . . من ينتمون للقسم الأول مفهوم أمرهم فهم ينفذون تعليمات ومن ينتمون للقسم الثانى ينفثون أحقادهم على الجماهير ويحاولون إصطناع تاريخ يعوضهم عن إحتقار الشعب ورفضه لهم .

وإلا فهل هناك تفسير لتلك الظاهرة العجيبة وهى أن الذين قادوا الحملة ضد حزب الوفد والنحاس باشا لحساب الانجليز والملك هم الذين قادوا الحملة ضد ثورة يوليو وجمال عبد الناصر لحساب قوى خارجية تـكن عداءا عميقاً لعهد الناصر وتريد تصفية آثار الثورة . وبتمويل هذه القوى ، ولحساب الأقلية من كبار الملاك والمستغلين الذين يعملون لتقويض مكاسب الفقراء الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من الشعب ؟

. . إن الكتاب والصحفيين الذين عمدوا إلى تجريح سمعة النحاس وتشويه تاريخ الوفد ، ومعاداته هم أنفسهم الذين عمدوا إلى تشويه سمعة عبد الناصر وتاريخ ثورة يوليو ومعاداتها . . منهم من كان يعمل لحساب الانجليز ، ويعمل الآن لحساب السادة الجدد ومنهم من كان خادماً للملك ويعمل الآن خادماً للمليونيرات الجدد . يجمعهم شيء واحد ، هو العداء لأى حركة وطنية تقود الشعب ، ولأى زعيم يعطيه الشعب تأييده وثقته . ومن السهل التعرف عليهم فهم خدام كل سلطة ، وعملاء كل نظام حتى وإن تناقضت الأنظمة وتباينت .

وإذا كان هذا العمل متوقعاً ومبرر الصدوره من هذه النوعيات فانه عمل لايمكن قبوله ولا تبريره . إذا ما صدر عن أناس عاشوا فى حضن الجماهير ، وشايعوا الحركة الوطنية ممثلة فى حزب الوفد وثورة يوليو عن إيمان . . إذا صدر التجريح والتشويه عن هؤلاء فإنه عمل يقرب من خيانة الجماهير والتنكر لنضال الشعب . . ليس وفدياً صميما من يشوه ثورة يوليو وزعامة عبد الناصر ، وليس ناصرياً أو يسارياً حقيقياً من يشوه تاريخ حزب الوفد وزعامة مصطفى النحاس باشا . .

. . إن الإخلاص لتاريخ الوفد ولذكرى النحاس لا يتحقق إلا بتأييد كل الانجازات الوطنية لثورة يوليو ، التى حققتها للغالبية الساحقة من الجماهير التى كانت قاعدة الوفد . ولا يتحقق إلا بالاعتزاز بتاريخ جمال عبد الناصر والفخر به .

. . والاخلاص لثوره يوليو ولذكرى جمال عبد الناصر ، لايتحقق إلا بالاعتزاز والفخر بالتاريخ الوطنى العظيم لحزب الوفد ، وللكثير من إنجازاته . وبالاحترام العميق لتلك الزعامة العظيمة والطاهرة التى تجسدت فى مصطفى النحاس .

. . إن تاريخ مصر لم ينته بنهاية الوفد ، ولم يبدأ بقيام الثورة . إنه حلقات متواصلة ، فإذا كان الوفد بزعامة النحاس هو الذى قرر مجانية التعليم الابتدائى والثانوى فالثورة بزعامة عبد الناصر أكملت الشوط وقررت مجانية التعليم الجامعى . . وإذا كان حزب الوفد بزعامة النحاس ناضل كثيراً لاخراج الإحتلال البريطانى ، وشجع وساعد عمليات الفدائيين ، فإن الثورة بزعامة عبد الناصر أكملت الشرط وأخرجت الإنجليز . . وإذا كان الوفد بزعامة النحاس هو الذى أتاح للعمال تكوين النقابات لأول مرة وإصدار قانون العمل الفردى فان الثورة بزعامة عبد الناصر هى التى توسعت

فى قوانين التأمينات الاجتماعية ومنع الفصل التعسفى وحماية الطبقة العاملة وإشراكها فى الأرباح والإدارة . وفى تحطيم الاستغلال الذى يقع عليها من الرأسماليين والبدء فى عملية تحول إشتراكى . . وإذا كان الوفد بزعامة النحاس ساعد صغار ملاك الأراضى الزراعية والفلاحين ، فإن الثورة بزعامة عبد الناصر هى التى غيرت الخريطة الاجتماعية فى الريف ووزعت أراضى كبار الملاك على المعدمين ، وتوسعت فى إنشاء المدارس والوحدات الصحية فى القرى ، وامدادها بالمياه والكهرباء وإقامة حركة تعاونية فلاحية ، . . وإذا كان الوفد بزعامة النحاس بدأ فى وضع حجر الأساس لبعض الجامعات ، فإن الثورة بزعامة عبد الناصر هى التى أتمت وتوسعت بل وتعهدت بتعيين الخريجين . وإذا كان الوفد بزعامة مصطفى النحاس كان يطالب بتصفية الاحتكارات الأجنبية وتمصير البنك الأهلى ، فان الثورة بزعامة عبد الناصر . قامت بتمصير كل المصالح الأجنبية وتحطيم الاحتكارات الاقتصادية الأجنبية ، والبدء بعملية تصنيع مصر ، وتحقيق هذا الحلم الوطنى بتحويل مصر إلى دولة صناعية . . وإذا كان الوفد بزعامة النحاس نادى بالاشتراكية فان الثورة بزعامة عبد الناصر جعلت الاشتراكية نظام الدولة الرئيسى وقامت بعمليات تحويل هائلة . . .

وإذا كان الوفد بزعامة النحاس هو الذى وقع ميثاق جامعة الدول العربية فان الثورة بزعامة عبد الناصر ، تبنت الدعوة للوحدة العربية وعممتها وجعلتها شعاراً من شعاراتها . . بل وأقامت أول وحدة فى التاريخ الحديث . وساعدت كل الثورات وحركات المنطقة العربية . .

وإذا كان الوفد بزعامة النحاس نادى بسياسة الحياد ، فان فان الثورة بزعامة عبد الناصر جعلت الحياد ثم عدم الانحياز — مبدأ من مبادئها وصارت مصر إحدى الدول التى تتزعم هذه السياسة . وقاتلت ضد سياسة الأحلاف العسكرية وأحبطتها فى المنطقة العربية .

.. وإذا كان الوفديين يتباهون بأن مئات الألوف . . بل حوالى المليون ، ساروا فى جنازة النحاس ، عام ١٩٦٥ ، فانهم لن يستطيعوا إنكار أن الملايين [1] سارت فى جنازة عبد الناصر

---

(١) تختلف التقديرات هنا . بعضها يقول ثلاثة ملايين وبعضها يقول خمسة ملايين .

بحيث أجمعت كل التقارير وحتى شهادات خصومه أن التاريخ لم يشهد جنازة كهذه . ولم يشهد شعباً أظهر مثل هـــذا الحزن على زعيم له .

وإذا كان الوفديون يتباهون بأن إسم حزبهم وإسم النحاس كفيل باثارة الحماس بين كل من يحضر إحتفالاتهم. فعليهم أن يعترفوا بأن مجرد ذكر اسم عبد الناصر فى أى حفل للعمال والفلاحين والطلاب كفيل باشعال نار الحماسة بينهم . وعليهم أن يعترفوا بمدى العــاطفة الجياشة التى يكنها الفقراء لعبد الناصر .

. وهكذ . . فليذكر لنا الوفديون أى عمل أو مبدأ يتباهون به الان لم تستكمله الثورة بزعامة عبد الناصر ولم تطبقه بتوسع . . وليذكر لنا الناصريون أى إنجاز أو شعار ، طبقوه أو رفعوه ، لم يبدأ به أو يطالب به حزب الوفد بزعامة النحاس ؟

. . لقد كانت الثورة هى الوريث الطبيعى لحزب الوفد ،وكان عبد الناصر هو الوريث الطبيعى لمصطفى النحاس فى زعامة الشعب المصرى ، بل كان زعيما للامه العربية كلها ، وكانت شعبيته ، ولا زالت حتى بعد وفاته ـ تتفوق على زعامة أى رئيس أو زعيم عربى

داخل بلده نفسها . . . لقد أكملت الثورة وطبقت ما كان ينادى به حزب الوفد ، وفتحت آفاقا أوسع أمام الجماهير ، ولهذا لم يعد هناك مبرر للوفد ، ولهذا أيضاً ، إنتقلت الجماهير الشعبية التى كانت تعطى تأييدها للوفد إلى الثورة وإلى جمال عبد الناصر . ولم يكن هـذا التحول يعنى عداء للوفد أو تنصلا منه ، وإنما لان الجماهير رأت فى الثورة الاداه لتحقيق أهدافها التى كان يتبناها الوفد . ولعل هـذا ما يفسر لنا لماذا أعطت الجماهير تأييدها للثورة ولعهد الناصر . وفى نفس الوقت رفضت كل محاولات الاساءه للوفد وللنحاس باشا . . الوفد والثوره ، والنحاس وعبد الناصر . استمرار لتطور الحركة الوطنية المصرية ، وأى محاوله للاساءة لأى منهما أو تشويهما عمل طائش وغير ناضج . ولا يمكن أن يصدر الا من عملاء القوى الأجنبية وبقايا أحزاب الأقليات . . وهـذا لا يعنى توقف النقد ، أو منع الخلاف ، أننى أتحدث عن شىء واحـد محدد ، وهو عملية التشويه والادانة للوفد والنحاس ، وللثورة جمال عبد الناصر. فهذا ما لا يليق بمن كانوا حزب الجماهير وروح الحركة الوطنية ، ولا بمن أصبحوا روح الجماهير ونضالها ضد الاستغلال .

• • ومن الضرورى الا يتوقف الوفديون أمام بعض الأخطاء

التي وقعت فيها الثورة نحو الحزب ونحو النحاس باشا ، ولا يتوقف الناصريون أمام الهجوم الذى تشنه بعض عناصر الوفد ضد الثورة وضد عبد الناصر متحالفين فى ذلك مع بقايا أحزاب الأقليات التى كانت تناصبهم العداء .

. . ان الصراع والصدام الذى حدث بين الثورة والوفد ما كان يجب أن يحدث ، ولكن ليس غريباً أن يحدث . وليس مبرراً لقيام احدهما بتشويه الآخر ، انه صدام بين قوى وطنيه ربحته قوة أكثر فتوة ونجحت فى أن تكون أقدر على تحقيق الأهداف الوطنية بمعدل أسرع وأشمل . . . أن حزب الوفد نفسه تعرض لإنشقاقات داخلية بين صفوفه وكان يضم أجنحة متناقضة بينها صراع ، ولو تأخرت الثورة عدة سنوات فقد كان الصراع سيدب بين الطليعة الوفدية ــ يسار الوفد ــ وبين يمين الوفد الذى يضم كبار الملاك والرجعيين . ومن يدرى ألم يكن ممكناً أن تستقطب الطليعة الوفدية الجماهير العريضة ويصبح يمين الوفد من أحزاب الأقليات ؟

. . وكذلك الثورة تعرضت إلى صراعات وخلافات أثناء مسيرتها .

. . أن الجماهير تسير وراء من يحقق مصالحها ، وهى تفرز

باستمرار القوى القادره على قيادتها ، ولم يكن ممكناً أن يستمر الوفد - إذا لم تقم الثورة - بتركيبه السابق ، بل لم يكن هناك ضمان لان تستمر شعبيته الكاسحة . . ألم يكن ممكناً أن تتمكن أحزاب أخرى من ازاحته من مركز الصداره ؟ . ولو افترضنا ان النحاس توفى . والوفد موجود ، فلقد كان سيتعرض للانفجار من داخله . ولم تكن هناك شخصية فى الوفد قادره على أن تملأ مكان النحاس وتستحوذ على حب الجماهير لها كما كان حالها مع النحاس - وتراث الحزب وتاريخه الوطنى وتاريخ زعاماته العملاقة ليس شرطاً لاستمراره قائداً للحركة الوطنية أو استمرار تأييد الغالبية له ، لقد كان حزب المؤتمر الهندى يتمتع بتأييد الغالبية الساحقة من الشعب الهندى بزعامة غاندى ثم بزعامة نهرو . . ولكن هل استمر تأييد الغالبية له بعد ذلك ؟ ألم يلاقى هزيمة كبيرة فى الانتخابات الأخيرة رغم أن رئيسته ابنة نهرو ؟

. . ان الجماهير تسير حيث مصلحتها . وحيث القوى القادرة على تحقيق مصالحها . وهـــذه بالضبط هى قصتها مـــع الثورة وجمال عبد الناصر .

. . وحين يريد الوفد أن يعود الآن ، فهل يعود معتمداً على

تاريخه السابق ليبدأ حيث توقف ؟ أم ليكمل مسيرة الثورة ويكمل تحقيق إنجازاتها التى لم تستكملها أو تلك التى تعثرت فيها ، مثلما استكملت الثورة الكثير مما بدأه الوفد ؟ وإذا كانت الثورة قد ورثت جماهير الوفد ، وورث عبد الناصر زعامة النحاس . فهل الوفد سيرث جماهير الثورة . وهل فؤاد سراج الدين سيرث زعامة عبد الناصر ؟

* * *

لماذا يهاجم سراج الدين عبد الناصر؟

.. لم يكن سراج الدين النحاس باشا ، حتى يكون وريث عبد الناصر ، بل أن زعامة النحاس باشا لحزب الوفد ووجود الوفد ذاته كصاحب للأغلبية الشعبية إذا لم تكن الثورة قد قامت لم يكن أمراً مضموناً ، ربما شاخ الحزب وتمثر النحاس ، وظهر حزب آخر وزعيم جديد أكثر تعبيراً عن مصالح الغالبية ، ولم يكن هناك ضمانة — لو لم يمت عبد الناصر — فى أن يبقى متمتعاً بهذا التأييد الشعبى الكاسح ، ولا محتفظاً بالمكانة العظيمة التى كانت له فى قلوب الشعب .

.. ان الحب والتأييد ليس تركة تورث ، ولا يمكن فرضه على الناس ، أو ضمان إستمراره .. الناس تحب وتؤيد، وتكره وتعارض بسبب مصالحها فقط ، بل ان الزعماء الوطنيين الذين يؤدون أجل الخدمات لبلادهم وشعوبهم فى نضالها ضد الاحتلال. وترفعهم شعوبهم إلى أعلى المراتب وتمنحهم تأييدها بلا حدود سرعان ما يواجهون مأزق إستمرار هذا التأييد بعد تحقيق الإستقلال ، لأن الناس لن تعيش على ذكريات النضال الوطنى وتتناسى مصالحها الأساسية ، ان كل القوى السياسية يمين ويسار ووسط وغيره ، تسير وراء أكه

زعيم مهما كان لونه السياسى إذا كانت تواجه معركة وطنية وتريد الحصول على الإستقلال السياسى وطرد المحتل ، ولكنها لن تظل على تأييدها بعد أن تنال البلاد الاستقلال . . تصبح المعركة الرئيسية هى المصالح . . . من يحقق مصالح الغالبية هو الذى يفوز بحبها وتأييدها .

. . وثورة ١٩١٩ وحزب الوفد وسعد زغلول والنحاس ، لم يواجهوا هذا الاختبار ، لقد كان سعد زغلول الزعيم الوطنى العظيم للشعب المصرى ، وزعيم ثوره شعبيه باسلة ، ولكنه مات والاحتلال الانجليزى فى البلاد . . وواصل حزب الوفد بزعامة النحاس النضال بعد أن إنتقلت إليــــه زعامة البلاد من أجل تحقيق هدف ثورة ١٩١٩ الأساسى وهو تحرير البلاد ، وهو بدوره لم يتعرض لهـذا الاختبار إذ أن الثورة قامت والاحتلال موجود . . وانتقلت الزعامة الشعبية إلى عبد الناصر ، وثورة يوليو ، وفى ظلها تم إخراج الانجليز وتحقق هدف ثورة ١٩١٩ ، وواجه عبد النـاصر اختبار ما بعـد الاستقلال . ولـكنه لم يتعثر فيه ، ولم تفشل فيه الثورة ، وإنمـا حققت نجاحاً كبيراً . فالزعامة الحقيقية لعبد الناصر لم تبدأ بعد إخراج الاحتلال الانجليزى ، وانما بدأت بتأميم شركة قناة السويس ، من

يومها أصبح عبد الناصر ، الزعيم الذى لا ينازع فى مصر والعالم العربى ، ولم يتوقف عند هذا الانتصار التاريخى ، أو يعيش عليه ، وإنما دشن زعامته الحقيقية وثبتها نهائياً بالمعركة التى خاضها ضد الرأسمالية ، وانحيازه الكامل إلى صفوف الفقراء ، ولم يكن عداء عبد الناصر لكبار الرأسماليين وملاك الأراضى خافيا ، كان هـذا العداء سر عظمته وسر شعبيته الكاسحة ، لأن الفقراء هم الأغلبية الساحقة ، وكبار الرأسماليين والملاك الكبار هم الأقلية . فلا يضير عبد الناصر ان تكرهه هذه الأقليه ، او تدينه ، لأنه كان ضدها وكان يعمل لضرب مصالحها وتأمين مصالح الأغلبية .

. . ولهذا فمن الظلم مقارنة ثورة ١٩١٩ بثورة يوليو ، ومن الظلم مقارنة سعد والنحاس بعبد الناصر ، فكل منهم أدى دوره التاريخى بنجاح ، وكل منهم كان فى مرحلة تختلف تماماً عن المرحلة التى وجد فيها سلفه .

. . والذى يريد أن يرث ثوره يوليو ، ويرث زعامة عبد الناصر ، هو الذى سيحقق مكاسب أكبر للفقراء من تلك التى حققها لهم عبد الناصر ، أو على الأقل يحافظ عليها ويكون عبد الناصر آخر ، فى وجه إجراءات تصفية هذه المكاسب لمصلحة الأغنياء وكبار الملاك .

.. لقد اختار حزب الوسط طريق العداء بالقول والفعل للخط الذى كان يسير عليه عبد الناصر .. من الوقوف فى صف الفقراء إلى طحنهم طحنا ، من العــــداء لكبار الملاك إلى تدليلهم تدليلا لم يحدث فى التاريخ .

.. وحين يأتى سراج الدين ليكرر نفس ما يقوله الوسط عن عهد جمال عبد الناصر ، ويستخدم نفس الحجج التى قالها كتاب الوسط وفلاسفته فانه لا يأتى بجديد .. فلن يضير عبد الناصر ، أن ينضم سراج الدين وغيره إلى كل شراذم أحزاب الأقليات . بل إن سراج الدين قد أساء لتاريخ حزبه وأساء إلى سعد والنحاس ولو افترضنا أن سعد والنحاس قاما من القبر . لأدانا سراج الدين وأعلنا براءتهما منه ومن حزبه الجديد . ولأعلنا تأييدهما لعبد الناصر وإنجازاته العظيمة ، لأنهما لا يمكن أن يكونا ضد مصالح الأغلبية ، ولأن عبد الناصر وثورة يوليو بخطها الوطنى الاشتراكى ، هما فى نهاية الأمر إمتداد لهما .

.. وأنا لا أريد إستخدام أى عبارات أو أوصاف عنيفة لأصف بها كلام سراج الدين عن الثورة وعبد الناصر ـ لقد كان مهذباً ورقيقاً حتى وهو يسدد إتهامات كاذبة ما كان يجب أن يرددها ،

ثم أن سراج الدين خصم يجب إحترامه ، فهو لم يداهن الثورة ، ولم يلعق أحذية قائدها ويمجده حتى يصبح غريباً الآن أن يهاجمها ويدينها ، وهو فى ذلك يختلف تماماً عن الذين هللوا للثورة ولجمال عبد الناصر . ولكل إجراء إتخذته ، ثم يهاجمونها الآن ، ويهيلون التراب على وجه عبد الناصر وتاريخه ، سراج الدين أشرف منهم ، وأكثر خلقاً ، لقد كان معادياً للثورة وظل معادياً لها . وكان وفياً للنحاس ، وظل وفياً له وهذه صفات جميلة ـ محترمة بسببها .

.. لقد قال بعض الكتاب عن سراج الدين أنه يثير الاشمئزاز وأنه كريه الرائحة لمجرد أنه يردد بعض مايقولونه ويكتبونه فى الأخبار» وأعنى به موسى صبرى ، وفيلسوف آخر كأنيس منصور ، لم يعرف إلا بترويجه للعفاريت والخرافات والفكر البعيد عن إتخاذ موقف من الصراع الاجتماعى والسياسى ، رأيناه يستأسد هو الآخر ويقول « بقايا عصابات الوفد وبقايا عصابات اليسار الناصرى ، وشاء له أدبه ، وشاءت له أخلاقه العالية أن ينسى ذكر أى عصابه ينتمى إليها مادام الجميع منتمون الى عصابات ..

* * *

. . . لقد دافع سراج الدين عن نفسه فأجاد وأبدع ، وعدد الكثير من المواقف التى اتخذها أثناء وجوده فى الحكم . . ولكن لوحظ أنه وقع أخطاء وتناقضات ظاهرة حينما تحول بالحديث إلى ثورة يوليو وعبد الناصر . .

مثلا . تحدث عن الحملة ضد النحاس باشا ، الذى يرقد فى القبر لايستطيع أن يرد ، وعاب على وسائل الأعلام أنها أهملت ذكر مناقبه وقارن ذلك بالحملة التى تعرض لها عبد الناصر .. وقال :ـ

« مع الأخذ فى الاعتبار لعامل[1] هام هو أن عبد الناصر سخرت له كل أجهزة الأعلام من صحافة واذاعة وكتاب فى الدفاع عنه ، وفى الرد على الحملات التى توجه إليه .. »

. . وهذا قول ما كان على سراج الدين أن يقوله . .

فالحملة ضد عبد الناصر لم تحدث من خارج مصر حتى تجند وسائل الأعلام المصرية للرد عليها . . لأن أجهزة الأعلام المصرية ـ

---

(١) ص ٣٦ ــ من الكتاب :

وليس غيرها ـ هى التى شنت الحملة ضد عبد الناصر ، والكتب التى هاجمته صدرت فى مصر فقامت الصحف والمجلات المصرية بعرض هذه الكتب زيادة فى ترويجها وتم الأعلان عنها بجميع وسائل الأعلام . وهناك دور للنشر تخصصت[1] فى نشر هذه الكتب. وكل المقالات المقذعة بل تلك الخالية من الذوق والحياء نشرت على صفحات الصحف والمجلات المصرية . .

بينما الدفاع عن عبد الناصر تم فى أضيق الحدود وعلى استحياء فى كثير من الأحيان، بل استخدمت أساليب كثيرة لمضايقة الذين دافعوا عنه . . والذى أعرفه بالنسبة لى فقد كان هناك إمبراطور فى التليفزيون أسمه عبد الرحيم سرور ، — مدير التلفزيون السابق — إصدر تعليمات لاعلانات التليفزيون بعدم قبول أى أعلان لكتاب يدافع عن عبد الناصر ويتعرض للحملة المعادية له ، ومنعت الأعلانات عن كل كتبى ، فيما عدا « عبد الناصر المفترى عليه » فوقتها لم تكن أجهزة الأعلام قد بدأت تمارس إنحيازها بالكامل ، ويستطيع غيرى أن يعدد له الكثير من النماذج . .

---

(١) المكتب المصرى الحديث ودار الشروق.

والذين يتولون المناصب القيادية فى الصحافة والأعلام هم من ابطال الحملة ضد عبد الناصر أو من المشاركين فيها بشكل أو بآخر . .

. . العكس هو الصحيح . وسراج الدين يواظب بلاشك على متابعة ماينشر ويذاع ويدرك جيدا أن ما يقوله بعيد عن الحقيقة ، بل اعتقد انه يعلم كيف يتم التخطيط للحملة ضد عبد الناصر ،وتمويلها فى بعض الأحيان .

ومثال آخر . .

. . أورد سراج الدين حادثه تبين أنه عارض الملك فاروق فى بعض ماطلبه منه حينما كان وزيرا للداخليه ، ورفض تنفيذ طلباته ومنها طلب الملك ورجاؤه بنقل أحد العاملين بالجوازات ، وقال معلقا على ذلك : -

« بالله ياأخوانى ، لو عبد الناصر عليه رحمة الله [1] طلب هذا هذا الطلب من وزير وأجابه فسأله هـذا السؤال ماذا كان يكون مصير هذا الوزير ؟؟ »

والمقارنة هنا غير صحيحة بالمرة . بالفعل لو طلب عبد الناصر ذلك من وزير الداخلية لبادر بالتنفيـذ ، وأما سراج الدين فلو نفذ لـكان ذلك خروجا على حزبه ، فهو يتلقى أوامره من النحاس رئيس الوزراء ،وزعيم حزب الوفد، والملك ليس رئيساً للحزب ولاللوزراء بل أنه خصم لدود للحزب ، وبالتالى فلا غرابه أن يرفض ، ونحن نسأله . لو طلب منك النحاس ذلك . فماذا كنت ستفعل ؟

هذا هو السؤال الذى كان يجب أن يسأله ؛ ليس ذلك بل أنه كان سينفذ ذلك الطلب حتى لو جاءه من أحد زملائه الوفديين ،

---

(١) ص ٤٢ .

.. مثال ثالث دل على أضطراب الـكلام .. لقد دافع سراج الدين عن الحياة السياسية والحزبية كـكل قبل عام ١٩٥٢ . ونسب إليها أعمالا مجيدة فى الحريات الديمقراطية والتقدم الاقتصادى الذى حدث خلالها .. وفى نفس الوقت عدد الفترات التى تولى فيها حزب الوفد الحـكم ، فلم تزد عن ست سنوات فى مدة تقرب من حوالى ثلاثين عاما ، لقد كان مفهوما ومقبولا أن يقتصر دفاعه عن الفترات التى حكم فيها الوفد ، صحيح أن فترات حكم الوفد كانت تشهد نموا فى الحريات الديمقراطية وتحقيق بعض الانجازات الوطنية والاجتماعية، ولـكننا لانفهم كيف يجرو إنسان ينتسب إلى حزب الوفد ـ ناهيك عن سكرتيره ـ يدافع عن أشد الفترات سوادا وقتامة فى حياة البلاد، كيف يدافع سراج الدين عن حكومات وأحزاب وملك ، كان يطرد حزب الوفد من الحـكم بعد ان يكون قد حصل على الأغلبية الشعبية فى الانتخابات ، ويسند السلطة إلى أحزاب الأقليات ، كيف يدافع عن فترة حـكم صدقى باشا ومحمد محمود ، كيف يدافع عن الفترة من ١٤٥ ـــ ١٩٤٩ ، التى زيفت فيها الانتخابات وقاطعها الوفد نفسه

وشهدت البلاد فى ظلها إرهابا لا مثيل له وتعذيبا فى السجون. وجرائد الوفد هى التى نشرت ذلك أواخر عام ١٩٤٩ ؟

هكذا نرى أن تحامل سراج الدين على الثورة دفعه إلى الدفاع عن فترات مظلمة فى تاريخ مصر ، وعن أحزاب يكرهها الشعب ولم تتولى السلطة الا على أشلاء حزب الأغلبية .

. . فأى ديمقراطية تلك التى يشيد بها سراج الدين بينما يطرد الوفد طردا بعد أن يأتى به الشعب بأغلبية ساحقة ؟ وأى ديمقراطية تلك التى توجد والبلاد تحتلها قوات أجنبية تفرض إرادتها عليها . والاستقلال ضائع ؟

. . لقد نسى سراج الدين أن يسأل نفسه، وماذا فعل حزب الوفد حينما كان يطرد بأمر من الملك ؟ هل دافع عن أغلبيته ؟ هل رفض مرة واحدة أوامر الأقالة الصادرة من الملك ؟ هل طالب مرة بعزل الملك ردا على عبثه بالدستور وعدم احترامه لإرادة الشعب ؟ .

.. يقول سراج الدين ص ٢٠ ، ٢١ فى معرض المقـارنة بين ثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩٥٢ :ـ

« أولا ثورة ١٩٥٢ أو ما سمى بثورة ٥٢ ليست بثورة من الناحية العلمية الصحيحه ، الثورة تبدأ من القاعدة لا من القمة ، هى فى الواقع أنقلاب عسكرى ، حقيقة أيدته الأمة ، وباركته فاكـتسب الشرعية من هذا التـأييد الشعبي ، أما ثورة ١٩١٩ فـكانت شيئا آخر ، ثورة ١٩ خلقت الانسان المصرى ، أيقظته من سبات عظيم وثورة ١٩٥٢ (نتفق أن نقول ثورة مؤقتا) قتلت الانسان المصرى وأهدرت كرامته ، ثورة ١٩ أيقظت الشعور الوطنى فى النفوس ، وثورة ٥٢ أشاعت فى النفوس ، الهزيمة والاستسلام ، ثورة ١٩ قامت لتحقيق جلاء الأنجليز وثورة ٥٢ أدت إلى إحتلال إسرائيل لمصر مرتين . ثورة ١٩ لقى أبطالها وقادتها الوانا مـن صنوف التعذيب والتنكيل والنفى والتشريد وثورة ٥٢ عاش رجالها وأبطالها عيشه الملوك والقياصرة ، ثورة ١٩ كان أبطالها — وعلى رأسهم الرجل المسن المريض سعد زغلول — يقضون جانبا كبيرا من حياتهم فى المنفى ، يلقون من أصناف التعذيب والتشريد والبعد عن الوطن

ما يلقون ، وأبطال ثورة سنة ٥٢ عاشوا فى القصور ، وأية قصور قصور اغتصبوها من أصحابها ، أو قصور شيدوها بمال غير معروف مصدره ، ثورة١٩ لم يعرف أحد من أبطالها أنه إستغل موقعه أو أنه بنى قصرا أو كون شركة أو أقام مصنعا ؛ وثورة ٥٢ بنى ابطالها الفيلات والقصور فوق الربى والتلال ؛ ثورة ١٩ يا أخوانى كانت السيدات يسرن فى الطرقات يلقين الجند البريطانى وصدورهن معرضة للرصاص وثورة ٥٢ كانت السيدات تهتك أعراضهن فى السجون ، وكان الرجال يعاملون معاملة النساء ويؤمرون بتلبية النداء إذا ما نودوا بأسماء النساء !! كما هو ثابت فى قضايا التعذيب وقضية كمشيش هذه فوارق بين ثورة ٥٢ وثورة ١٩ » .

. . ليس هناك ما هو أعجب وأغرب من مثل هذا الكلام ، فثورة ١٩ ، وثورة ١٩٥٢ ، وما سبقهما من ثورات ؛ مجرد حلقات متصلة فى تاريخنا الوطنى، مهما اختلفت مشارب هذه الثورات ومهما تعددت إنجازاتها وأخطاؤها . بل حتى إذا لم تحقق شيئا ، فأنها تظل حلقه من تاريخ النضال الوطنى ، ولم نسمع فى تاريخ أى أمة ، وأى شعب عن شخص يقف ليعقد مقارنة بين ثورتين قامتا فى بلد واحد

فى مدة ثلاثة وثلاثين عاما ليحاول تسفيه واحدة منهما ، ويمجد فى الأخرى ، يعلو بواحدة إلى أعلى عليين ، ويهبط بالثانية إلى أسفل سافلين — أى يحى الشعب الذى أيد ثورة ١٩١٩ ، ويهاجم نفس الشعب الذى أيد وبارك ثورة ١٩٥٢ ، وإلا فما معنى قوله « حقيقة أيدته الأمة وباركته فما كتسب الشرعية من هذا التأييد الشعبى »
.. هذا خطأه الأول .

.. ولكن المشكلة ليست هنا . . المشكلة أن سراج الدين يتحدث عن ثورة ١٩١٩ ، وكأنها ملك خاص له ، ورثها عن عائلته ، بل يتحدث وكأنه ورث تاريخ الشعب المصرى وورث ثورته ضمن ماورث بحيث يكون من حقه أن يرضى عن ثورة ويدين ثورة .. وسراج الدين لم يكن من زعماء ثورة ١٩١٩ حتى نتساهل معه ونقول أن من حقه أن يتحدث باسمها باعتباره من زعمائها الباقين على قيد الحياة وهذا خطأه الثانى . .

.. وأما خطأه الثالث فهو فى هذه المقارنات التى أخذ يعقدها بين نتائج الثورتين ، فحتى تكون المقارنة سليمة ، والنتائج لاشبهة فيها لابد من توفر عنصر أساسى . وهو وحدة الظروف وتشابه

المواقف التى واجهتها كل ثورة ، حتى يمكن تمييز واحدة عن الأخرى ، . . ولكن ذلك أمر مستحيل تاريخيا ووطنيا . . فاذا كان سراج الدين قد قبل أن يفعل ذلك ، فمن الخطأ أن يقوم مؤيدو ثورة يوليو بتسخيف ثورة ١٩١٩ وما آلت إليه ، . لقد قبل سراج الدين أن يهاجم ويدمر فترة من نضال الشعب ، فليس ذلك مبرراً لأن نقوم نحن بتدمير فترة أخرى من نضال شعبنا لمجرد أنه يدافع عنها . لأنها ملك لتاريخنا وليست من أملاكه الخاصة . .

. . وأما خطأه الرابع ، فهو تلك الأخطاء التاريخية التى وقع فيها . . فثورة ١٩١٩ ، قامت لتحقيق جلاء « الانجليز » ولكنه لم يقل ، أن الإنجليز لم يرحلوا إلا فى عهد الثورة . ويقول أن ثورة ١٩٥٢ ، أدت إلى احتلال إسرائيل لمصر مرتين ، وهو يقصد عام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ ، وكان عليه أن يهاجم تأميم قناة السويس لو كانت لديه الشجاعة ، لأنه لو لا قرار التأميم ، لما حدث العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وأما هزيمة ١٩٦٧ ، فهذه مسئولية النظام الذى لا يمكن أن يعفى منها . . .

. . لقد قال سراج الدين أن أبطال ثورة ١٩١٩ لاقوا صنوفا

من التعذيب والتنكيل والنفى والتشريد ولكنه نسى فى نفس الوقت أشياءاً كثيرة . . نسى أن الثورة رفضت الانذار البريطانى الفرنسى عام ١٩٥٦ ، وقاتلت ضد جيوش ثلاثة دول دون أن تستسلم . وأعلن عبد الناصر من الأزهر أثناء الغارات الجوية ، أنه سيقاتل ، وعبأ الشعب واستثار حماسته للقتال ضد قوى لا تتكافؤ معها بالمرة ، ولكنه رفض أن يمرغ شرف مصر وكرامتها فى الوحل ويقبل الانذار ، ولم يتراجع عن قرار التأميم وكان من نتائج هذه الحرب أن أفل نجم الامبراطورية البريطانية والفرنسية فى العالم العربى بل أن الثورة بزعامة عبد الناصر لعبت دوراً حيويا وأساسياً فى مطاردة الاستعمار ومساعدة الشعوب المضطهدة . . . . وقبل ذلك لم يقبل عبد الناصر أن يتلقى أية تهديدات أو أنذارات من السفير البريطانى أوالأمريكى ، ولوقارنا ذلك بما كان يفعلهالسفير البريطانى فى مصر مع السياسيين المصريين والحالة التى يصبحون عليها إذا قارنا ما كان يحدث بمجرد أن تعلن إنجلترا عن تحريك بارجة فقط ، أقول إذا قارنا حالة هؤلاء ، بموقف عبد الناصر وثورة يوليو من غزو تشترك فيه مع بريطانيا . فرنسا وإسرائيل ، فأعتقد أن فؤاد سراج الدين يوافق معنا على أن النتيجة فى صالح عبد الناصر وثورة

يوليو ، . . ونسى سراج الدين أن يقول أن الوفد هو الذى قبل التحفظات الأربعة ، وأنه بعد ثورة ١٩١٩ وتضحيات هائلة من الشعب ، ظل الاحتلال موجودا والوفد موجود ، ونسى أن الوفد هو الذى عقد اتفاقية ١٩٣٦ ومع ذلك ظل الاحتلال موجودا ، وحتى حين ألغى الوفد الإتفاقية بعد ذلك ، فان الاحتلال كان موجودا ، وكانت اللعبة السياسية تدور والاحتلال موجود . . .

بل أن الوفد طرد بعد أن ألغى الإتفاقية بينما انسحبت جيوش الدول الثلاث فى ١٩٥٦ والقناة فى يدنا وأعلن عبد الناصر ألغاء اتفاقية ١٩٥٤ ، وقام بتمصير وتأميم المصالح الأجنبية رداً على تجميد أموالنا فى الخارج ، وبالنسبة للضغوط الأمريكية وضغوط البنك الدولى ومحاولة السيطرة على اقتصادنا فلقد رفض عبد الناصر كل ذلك . .

. . ونسى سراج الدين أيضاً أن يذكر بأن عدداً من قادة ثورة ١٩١٩ ، والذين شاركوا فيها بنصيب ، انشقوا عن الوفد وقبلوا بعد ذلك أن يكونوا أدوات فى يد الإنجليز والملك . وزوروا الإنتخابات وألغوا الدستور ، وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين ، وكان من بينهم المضاربون فى أقوات الشعب ومن أثروا ثراءا فاحشا

ألم يكونوا وفديين ؟ ألم يشاركوا فى ثورة ١٩١٩ ؟

— أليس آل أبو الفتح وفديون ؟

ألم تنشىء لهم فرنسا محطة إذاعة فى مدينة « كان » سميت باذاعة « صوت مصر الحرة » كانوا يذيعون منها ضد نظام الحكم فى مصر بتوجيه من حكومة أجنبية وتمويلها . وكانوا يهاجمون بلادهم حتى وجيوش هذه الدولة تقتل المدنيين وتتقدم لاحتلال مصر ؟ وكانت تحتل ثلاث دول عربية هى تونس والجزائر والمغرب . . ونحن لا ندعى عليهم ذلك . وما دام فؤاد سراج من هواة الاستشهاد بما تكتبه الصحف . . فلاشك أنه قرأ ما نشرته جريدة أخبار اليوم بعددها بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٧٧ — ص ٧ رسالة من حسين أبو الفتح : —

« بمناسبة ما كتب عن الأستاذ محمد حسنين هيكل فى أخبار اليوم عدد ٩ ابريل بخصوص صوت مصر الحره فان هذا الصوت لم يعمل لصالح أى بلد فى العالم سوى صالح مصر العزيزة ونتحدى أى شخص أن يأتى باذاعة أو بيان يخالف ذلك ، وكانت الإذاعة تدار بواسطة الأحرار الذين فروا من عذاب مراكز القوى ومكنتهم

ظروفهم من أن يهاجموا أوضاع الحكم فى مصر فى عهد الاستبداد وكبت الحريات ، وقد نشأت هيئة مصر الحرة وصوتها بعد أن صودرت جريدة المصرى ولكى نسمع العالم العربى الذى كان واقعاً تحت تأثير ودعاية مراكز القوى المصرية فى عهد عبد الناصر بعد أن امتنعت صحافة لبنان عن الوقوف بجوار الأحرار المصريين ، وكان لهذا الصوت أثره واجتمع حول محمود أبو الفتح الذى أنشأ المحطة . اجتمع حوله شباب مصر فى الخارج فساعدوا بأقلامهم وأصواتهم فى تدعيم هذه الإذاعة التى كانت تعمل لمصر وحرية مصر وحينما يتاح لنا عودة جريدة المصرى للظهور فى عهد السادات فاننا سنروى قصة المصرى وكيف اختلف أصحابه مع عبدالناصر من أجل مصر وحرية مصر ودستور مصر وسنرى كيف نشأت فكرة جمعية مصر الحرة فى الخارج ودعايتها سواء بالراديو أو المنشورات أو الكتب وإننا دائما فى خدمة بلادنا العزيزة » .

... فما رأى فؤاد سراج الدين فى هذا الاعتراف العلنى من وفديين سابقين بارزين بأنهم كانوا يديرون محطة إذاعة لخدمة مصر العزيزة وحريتها من أراضى دولة كانت تغزو مصر العزيزة !!

وكانوا يدعون المصريين لإسقاط الثورة ومصر العزيزة تتعرض للغزو عام ١٩٥٦ .

.. وكانوا يهاجمون نظام عبد الناصر لأنه كان يساعد شعوب تونس والمغرب والجزائر فى نضالها ضد جيوش الدولة التى أنشأت لمناضلى الوفد محطة إذاعة تهاجم عبد الناصر لأنه يساعد الجزائر على وجه الخصوص !!

وما رأى سراج الدين فى الذين يريدون تحرير بلادهم بمعاونة أجهزة مخابرات الدول التى أرادت إعادة احتلال مصر العزيزة ومنعها من تأميم قناة السويس ؟

إننا سوف نرتكب خطأ جسيما لو حملنا ثورة ١٩١٩ والوفد كل ما حدث ، ونحن لا نعاير الوفد ولا ثورة ١٩١٩ ، وإنما نريد أن نقول أن تصيد الأخطاء الصغيرة ، وارى عنق الحقائق لعبة لا يجيدها سراج الدين وحده أو غيره ، فلو أراد كل إنسان أن أن يدين أى زعيم وأى حزب وطنى بأن يتصيد بعض الأخطاء الفردية ، أو التعثر فى مشكلة ما ، فلن يجد صعوبة ، فكل ثورة لها إخطاءها ، ولها سلبياتها ، وأى حزب له أخطاؤه وسلبياته ، وأى

زعيمه أخطاؤه وسلبياته، وتصيد هذه الأخطاء والسلبيات وتضخيمها، وطمس كل الإيجابيات والأعمال العظيمة التي تمت وتشويه سلامة الخط الوطني ، عمل لا يتسم بالموضوعية بالمرة ولا يمكن الإعتداد به . أنه عمل لا يقوم به إلا الموتورون فاذا كنا نرفض محاسبة ثورة ١٩١٩ ، ومحاسبة الوفد على بعض السلبيات والأخطاء ، إذا كنا نرفض أن نحملهما ما فعله الذين انشقوا عنهما . . فبالمقابل نرفض محاسبة ثورة يوليو على إنحرافات البعض ، أو على بعض الأخطاء والسلبيات ، واعتبارها الأساس ، أن التقييم الأمين ، لأى حزب هو الذى يعتمد على الخط العام للثورة وللحزب ، والموقف من القضايا الوطنية . هل خان الحزب ، هل تخلى عن الأهداف الوطنية ، هل تبنى مصالح الأقلية على حساب الأكثرية ؟ هل حاول أن يبنى اقتصاد وطنى مستقل أم اقتصاد خاضع للسيطرة الأجنبية ؟ هل حقق تقدما اقتصاديا ملموسا أم لا . . ؟

وهل الظروف العالمية والمحلية كانت تفرض أشياء معينة أم لا ؟

. . مثل هذه المعايير وغيرها هى التى يجب أن تكون قاعدة

الحساب والمساءلة . بل وقاعدة المقارنة ، إذا كان هناك إصرار على المقارنة . أما الاحتجاج بحادثه هنا وهناك . وإنحراف هذا أو ذاك ، فعمل لا يصح الالتفات إليه فى التقيم النهائى والشامل ..

ومع ذلك نتساءل .

لو كان الوفد ظــل فى الحـكم ـ كما ظلت الثورة ـ من ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ ـ أى الفترة التى حددها سراج الدين للتقييم ـ وصفى فيها طبقات اجتماعية وخاض نفس معارك الثورة .

فهل كان سيظل دون أخطاء وسلبيات ؟ وألم تـكن بعض عناصره وقياداته ستستغل مناصبها لتحقيق مآرب شخصية ؟ ..

وكانت الموضوعية تستلزم من سراج الدين أن يحدد بالضبط من الذى سرق من قادة الثورة ويطالب بمحاسبته ومصادرة مايملك مادام مصدره حرام . أما التعميم فهذا عمل مقصود ...

.. ويقول سراج الدين ص ٢١ : ـ

« أنى ـ وأنا فى هذه الدار ، دار القانون ، ورجال القانون ـ لأتحدى أخوانى المحامين أن يدلونى على جريمة وحدة وردت فى

قانون العقوبات لم ترتكبها ثورة ٥٢ !! وماذا ستنتظرون من عهد يقول أقطابه : « أنا أعطينا القانون أجازه » بلد لا يحكمها قانون تحكمها شريعة الغاب ومراكز القوى».

.. وفى حقيقة الأمر ، فان حكاية القانون هذه التى كثر الحديث عنها فى المدة الأخيرة تتطلب قدراً من التوضيح دون خوف أو تردد .. فالثورة لم تأت إلى السلطة بواسطة انتخابات نيابية ووفقا للقوانين التى كانت سائدة ، ولو قبض على تنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة ، لتمت محاكمتهم وفقا للقوانين السارية ولا عدموا وسجنوا بسبب انتهاكهم للقوانين أن الثورة عمل غير قانونى .. عمل مضاد للقانون ، وهى لا تقوم بناء على سيادة القانون ، أنها لا تعترف بالقوانين السائدة ، وتعمل على إلغاءها . أن القوانين ليست أوامر الهيه ، أنها من صنع البشر لتقنين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ومع الدولة .. الخ .. والقوانين يتم تعديلها وألغاءها وتطويرها باستمرار ، .. فما هى القوانين التى خرقتها الثورة وضربت بها عرض الحائط ؟

.. إننا نواجه باتهام يتميز بالتعميم دون التخصيص ، فإذا كان

يشير الى — سعد زايد — محافظ القاهرة السابق — حينما أجبر ملاك العمارات على رد الأموال التى أخذوها من السكان كخلو رجل فاننا نتساءل ..

.. أيهما يعتبر عملا قانونياً ، الذى يبرر خلو الرجل أم الذى يجبر الذى أخذ الخلو بإعادته ؟ واذا لم يكن القانون يعطى الحق لرد الخلو فهل أخطأت الثورة حينما اتخذت اجراءات استثنائية لإعادة الأموال التى استولى عليها أصحاب العمارات ، الى السكان ؟

.. واذا اكتشفت الثورة أن البعض يحتال على القوانين الموجودة ويستغل ثغراتها فهل تقف مكتوفة اليدين بحجة سيادة القانون والخوف من انتهاك القوانين لتترك الفرصة لكثير من العناصر بتحقيق أوضاع تتناقض تماما مع أهداف الثورة أو تلحق الضرر بالفقراء ؟

هل يمكن لثورة تقف بجانب الفقراء أن تقف مكتوفة اليدين اذا ما وجدت أن العمال يطردون ولا يؤمن عليهم مثلا ؟ أو أن الفلاحين يطردون من أراضيهم أو أن السكان يطردون من شققهم بحجة أن القانون مع الملاك ؟

لو وقفت الثورة هذا الموقف لما استحقت أن تكون ثورة ، وعليها أن تنحى هذه القوانين جانباً لتواجه هذه الظواهر بردع الملاك واجبارهم بكل الوسائل على التزام حدودهم وكيف يمكن لثورة أن تقف جامدة بسبب القانون أمام ظاهرة كالسوق السوداء ، أو قيام كبار التجار برفع الأسعار لتحقيق أرباح خيالية ؟

ليست ثورة إذا لم تضرب بشدة على أيديهم حتى وإن كان القانون معهم .

. . وكيف يمكن لثورة أن تترك عصابات تروع أمن المواطنين وتستخدم السلاح فى السرقة والسطو ، وخطف السيدات ، وسيادة البلطجة وفرض الأتاوات والاتجار فى المخدرات لمجرد أن فى القوانين ثغرات تمكنهم من الافلات . . ليست ثورة إذا لم تنكل بهم وتضربهم بقسوة ليكونوا عظة لغيرهم حتى يطمئن الناس أنهم لا يعيشون تحت تهديد عصابات من اللصوص والبلطجية .

. . وكيف يمكن لثورة أن تقف مكتوفة اليدين أمام ظاهرة كالاثراء غير المشروع والسرقات لمجرد أنها بالقانون السائد لاتستطيع محاسبتهم ؟

ليست ثورة إذا لم تصادر وتؤمم أملاك وأموال هؤلاء الناس.

. . وهكذا . . أن الثورة الحقيقية هى التى تستهدف مصلحة الغالبية الساحقة يجب ألا يشل إرادتها قانون يقف حائلا أمام تحقيق مصالح هذه الغالبية ، أنها تتعامل — كثورة — مع مثل هذه الظواهر بسرعة وقسوة فى بعض الأحيان لتقضى عليها ، ثم تسن ما تشاء من قوانين ، وتسد ثغرات القوانين ، لتتمكن من تصفية كل هـذه الأوضاع بالقانون ، أما إذا كانت القوانين الموجودة ستمكن ملاك العمارات من طرد السكان والحصول على خلو الرجل، وطرد مستأجرى الأراضى الزراعية ، والمتاجرة بقوت الشعب وتهديد أمن المواطنين ، وتمكين من يريد السرقة بالافلات بما حمل . .

فلتذهب هذه القوانين إلى الجحيم ، ولتأخذ ألف أجازة حتى يتم القضاء على كل ذلك ، وتوضع قوانين بديلة .

إن ما يعنينى هنا هو أن ترد لى الدولة أموالى التى أخذها منى صاحب العمارة . وما يعنينى أن تمنعه الدولة من طردى من شقتى .

ما يعنيني هو أن أحصل على السلعة بسعرها الرسمى . وأن لا أظل مذعوراً من النشالين والمجرمين والخطرين على الأمن . .

. . ما الذى سأستفيده حين يقال لى أن القانون مع صاحب العمارة ، ومع كبار التجار وملاك الأراضى الكبار وتجار السوق السوداء ؟ أو أن القانون به ثغرات تمكنوا من استغلالها ؟ أو أن حادث الاعتداء على لا يبرر إنزال العقاب الصارم بالمجرم ؟

العدل هو أن تتدخل الدولة بسرعة ، وبلا رحمة لضرب هذه الفئات . .

. . عن أى قانون يتحدث سراج الدين ؟

. . إن طبقة كبار الملاك تستطيع أن تضع ما تشاء من قوانين لمصلحتها . تستطيع أن تعطى مالك العمارة الحق فى طرد الساكن ، ويطرد الساكن وفقاً لسيادة القانون ! ! تستطيع هذه الطبقة أن تضع من القوانين ما يمكن كبار ملاك الأراضى الزراعية من طرد المستأجرين ، ويتم طردهم وفقاً لسيادة القانون ! تستطيع هذه الطبقة أن تطلق العنان لكبار التجار وتعفيهم من الضرائب وترهق

الموظفين بالضرائب !! تستطيع هذه الطغمة أن تضع ما تشاء من قوانين تمكنها من أن تربح الملايين وفى نفس الوقت تضع من القوانين مايجعل مطالبة الفقراء بتحسين أوضاعهم أوزيادة مرتباتهم، عملا تخريبياً وخيانة وعمالة !!

. . فمن أى شريعة غاب يتحدث سراج الدين ؟

. . إن شريعة الغاب هى التى تمكن الأقلية من أن تفعل ما تشاء مستغلة براعتها القانونية وأموالها فى الافلات من القوانين الموجودة ، واستغلال ثغراتها ، أو وضع القوانين التى تحقق مصالحها . . والعدالة الحقيقية هى فى كل اجراء يردع هؤلاء الناس ويؤمن حقوق الفقراء . .

. . ومع ذلك فنحن نوافق سراج الدين على أنه حدثت حالات هى التى نعتبرها انتهاكا للقانون ، لأنها تمس الحقوق السياسية للافراد ، كتعرض عدد من المسجونين السياسيين للتعذيب ، وفرض الحراسة خطأ على بعض من خضعوا لها . وعلى القبض على عدد من المعارضين دون وجه حق . . .

إن كل ما عرقل الأفراد عن ابداء رأيهم ، أو عقابهم على

معارضتهم ، أو فرض الحراسة عليهم دون ذنب — هو ما نعتبره أخطاء وانتهاك للقانون . . وأما الدفاع عن تجار المخدرات والاجانب واللصوص والمجرمين ، وهم الغالبية الساحقة من الذين فرضت عليهم الحراسات . فلماذا الدفاع عنهم ؟

. . وإذا كان سراج الدين يتحدث عن انتهاك القانون فى عهد الثورة . ويشيد بعهد ما قبل ١٩٥٢ ، . . . فهل كانت عمليات تزوير الانتخابات عملا قانونيا ؟ هل كان طرد حزب الوفد بعد أن يكون قد حصل على الأغلبية فى الانتخابات عملا قانونيا ؟ هل كان شراء منصب الوزارة بالأموال ولصوصيه الملك والطبقة الحاكمة عملا قانونياً ؟ هل كانت مصادرة الصحف وسجن المعارضين وأطلاق الرصاص على المتظاهرين والغاء دستور ١٩٢٣ ، عملا قانونيا ؟ هل كان التلاعب فى البورصه والمضاربات والسوق السوداء خاصة فى فترة الحرب الثانية عملا قانونياً ؟ .

ولو وقف سراج الدين عند هذا الحد ، لهان الأمر بعض الشىء ، ولكنه واصل إندفاعه دون تروى ، وعلى الرغم من أنه كان يتحدث بهدؤ دون أن ينفعل فإنه فشـــل فى تبين الأخطاء الفاحشه التى وقع فيها .

.. يقول سراج الدين ص — ٦٦ : —

« فى عهد الأحزاب قبل ١٩٥٢ كانت حياتنا الاقتصادية ، كمايلى :
لدينا غطاء نقدى ذهب فى بدروم البنك الأهلى قدره واحد وستين
مليون جنيه ونصف مليون سبائك ذهبيه ودولارات ذهبية وجنيهات
ذهبية . وكانت فى بنوك أمريكا فأمرت وأنا وزير المالية سنة ١٩٥١
بنقلها إلى مصر !! حتى أذكر أنه جاءنى السفير البريطانى مرة فى
حفل بيقول لى يافؤاد باشا .. دى مسألة خاصة بكم ، ولكن كصديق
ليه تجيب الذهب كله هنا فى مصر خلى شويه فى كندا ، وشويه فى
إنجلترا وشويه سويسرا وشويه فى جنوب أفريقية !! قلت له : ليه ؟
قال لى : يمكن فى أى وقت يحصل غزو لمصر . . فالغازى الذى
سيدخل سيستولى على هذا الذهب !! قلت له ياسلام ياأخى !! اللى
يبقى يستولى على مصر يبقى فى داهيه الذهب ! يبقى يأخذه بالمرة أنا
ذهبى تحت يدى هنا — هذا الذهب كرصيد فى غطاء النقد — أصبح
صفرا بعد سنة ١٩٥٢ ، ذهب قدره واحد وستين مليون ونصف مليون
وكان هذا الغطاء يغطى بنكنوت متداول فى يد الجمهور قيمته ١٨٠
مليون جنيه مصرى (مائة وثمانون مليونا من الجنيهات) فكان

أكثر من ثلث النقد المتداول مغطى بالذهب .. ولذلك كان الجنيه المصرى فى الأسواق له قوته .. وكان أكثر قيمة من الجنيه الانجليزى اليوم الجنيه المصرى مرفوض فى جميع الدول . . غطاء النقد صفر .. البنكنوت المتداول حوالى الألف مليون جنيه بدل مائة وثمانين جنيه . . ألف مليون جنيه لا يغطيها شيء الاستر الله الكريم . الديون أيام الأحزاب قبل سنة ١٩٥٢ كان الدين على مصر خمسه وثمانون مليون جنيه (٨٥ مليون جنيه) . وكان دينا وطنيا مصريا مديونين لأبناء بلدنا . مش لدول العالم . وكان أصل الدين أجنبيا . وكان يشرف عليه صندوق الدين هنا عند البوسته وأحنا فى حكومة ١٩٤٤ مصرنا الدين والغينا صندوق الدين ، وأصبح الدين مسدد للاجانب وأحنا مديونين للشعب المصرى بمبلغ ٨٥ مليون جنيه . كم ديوننا الآن بعد سنة ١٩٥٢ ؟ (١٢ ألف مليون جنيه) إثنا عشر ألف مليون جنيه لغاية ١٩٧٧ !! من ٨٥ مليون أيام الأحزاب الفاسدة . وأيام الحكم الفاسد ، وأيام الفوضى أدى الوضع الاقتصادى — نقارن أيه حريات عامة ، أظن الحريات العامة التى شافتها مصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ مش عايزه كلام . كرامة الإنسان .. حقوق الإنسان .. مصادرات . حراسات . القتل .. الخ ..

. . يلاحظ هنا الاضطراب والتناقض . . فسراج ورط نفسه بالدفاع كما قلنا سابقا عن فترات كان حزب الوفد يعاديها . وهو في ذلك لا يبدو وفديا ، وأنما منحاز لأعداء الوفد . . كذلك فقد تناقض مع نفسه . لأنه قال في بداية خطابه ص٢٠ : —

« سأكون صريحا وصادقا ، وإذا قلت ثورة ٢٣ يوليو فأنى أقصد الفترة بين يوليو ١٩٥٢ و٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ » .

. . أى الفترة من قيام الثورة حتى وفاة جمال عبد الناصر إلا أنه في تقييمه للوضع الاقتصادى شن هجومه وعقـد المقارنة حتى عام ١٩٧٧ ! !

. . وعلى كل ، فهذه ملاحظات شكلية ولا قيمة لها . . وأما ما نود أن نركز عليه . هو أن سراج الدين ، مادام قد أخذ على نفسه عهدا في بداية الخطاب بأن يكون صريحا وصادقا فإنه لم يكن صريحا ولا صادقا بالمرة ، وليس أمينا على الحقائق التى لا يجوز الخـلاف عليها بالمرة . . .

فالمقارنة التى قام بها ساذجة وتفتقر إلى الصدق من الألف إلى الياء مما لا يليق برجل فى مثل خبرته ومستوى حنكته السياسية .

اولا : لقد كان سراج الدين أثناء خطابه يستشهد بفقرات مما كتبته الصحف والكتب . بالتواريخ . ليرد عليها واحدة واحدة وكان عليه أن أن يفعل نفس الشىء وهو يتحدث عن مسألة الديون. خاصة وأنها أرقام لاتحتمل الاجتهاد والتخمين ، ولأنه ذكر رقم الخمسه وستين مليون ونصف مليو ن جنيه. الرصيد الذى كان موجودا قبل الثورة . . لقد قال أن الديون وصلت الآن إلى ١٢ الف مليون جنيه فى عام ١٩٧٧ ، وكان عليه كما وعد ان يتحدث عن الفترة حتى ٢٨ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٠ . . والرقم الذى ذكره غير حقيقى لأنه ١٢ ألف مليون دولار وليس جنيه ! ! وكانت المرة الأولى التى ذكرت فيها أرقام الديون بشكل رسمى ، فى البيان الذى القاه الدكتور عبد المنعم القيسونى أمام مجلس الشعب . ونشر فى الصفحات الأولى بالجرائد الثلاث ومن الطبيعى أن فؤاد سراج الدين قد قرأ البيان مادام مهتما هكذا بذكر الأرقام وتوخى الدقة . وللاسف فإنه أفتعل أرقاما من عنده وحقائق من خياله . فالقيسونى ذكر ان الديون

١٣ ألف مليون دولار . وليس جنيه — وقال منها أربعة الاف مليون دولار ديون للاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية — وديون السوفييت كلها عسكرية ، والديون المدنية تم تسديدها ، وأما الثمانية ألاف مليون دولار ، فهى ديون وقروض من أمريكا ودول أوربا الغربية وإيران والسعودية ودول الخليج العربى والبنوك الغربية والعربية ، ولم تحصل مصر على أى قرض من هذا المبلغ حتى سنة ١٩٧٠ .

وحتى مبلغ الأربعة ألاف مليون دولار — ديون السوفيت والكتلة الشرقية — جزء منها تم بعد عام ١٩٧٠ . .

فلماذا لم يتحر الدقة ويلتزم بالصدق والصراحة كما وعد ؟ !

ثانيا : إن مسألة وجود رصيد قبل الثورة وعدم وجوده بعدها ، بل ووجود ديون على الدولة ليس دليل على تدهور الوضع الاقتصادى . بالعكس . فإنه فى أحيان كثيرة يكون دليلا على التقدم الاقتصادى والتطور المستمر . .

فالدول المتخلفة والفقيرة مثل مصر - لا تملك موارد كافية

لتمويل أى خطة اقتصادية كبيرة تحقق بها معدلات نمو ملحوظة ـ وتحتاج إلى تمويل خارجى يكمل النقص فى التمويل الداخلى ، فتحتاج الدولة إلى القروض من الدول الأخرى وإلى التسهيلات الائتمانية لشراء المعدات والآلات اللازمة لبناء المصانع وغيرها من المشروعات . . وهنا يكون السؤال هو : ـ

هل هذه القروض استخدمت لشراء معدات وآلات ومصانع أم تم تبديدها فى شراء سلع استهلاكية ؟

إذا استخدمت فى الحالة الأولى فهى ليست ديون لأن إنتاج المشروعات كفيل بتسديد القروض ، وتصبح ملكا خالصاً لنا وتضيف قوة إلى اقتصادنا . وإذا استخدمت فى الحالة الثانية فهى عبء ، لأن الدين سيبقى لأنه استخدم فى الاستهلاك دون عائد . .

والقروض التى عقدتها الثورة مع روسيا وغيرها من الدول . استخدمت لبناء المصانع وشراء السلاح ، وكانت نسبة الفائدة ٥ر٢٪ ، أقل نسبة فائدة فى العالم ، وكان التسديد لا يتم إلا بعد أن تنتج هذه المصانع ، وبجزء من انتاجها والمصانع والمشروعات ملك للدولة وليست ملكا لعبد الناصر ولا لمجموعة من المستثمرين .

ثالثا : إن نظام ما قبل ١٩٥٢ الذى يدافع عنه سراج الدين ، لو أراد أن يبنى مشروعا كالسد العالى ومجمع الحديد والصلب والترسانة البحرية فقط ، لاحتاج إلى ما يقرب من ألف مليون جنيه . فمن أين كان سيأتى بها ، هل مبلغ الخمسة وستين مليون جنيه ستكفيه ؟

ولو أراد نظام ما قبل ١٩٥٢ ، بناء مئات المدارس والمستشفيات والكبارى وشق الطرق والعلاج المجانى وشراء الأسلحة للجيش وزيادة عدد العاملين والتعهد بتعيين آلاف الخريجين كل عام وتحويل مصر إلى بلد صناعى ، فمن أين له بلايين الجنيهات لتنفيذ كل ذلك ؟ هل ستكفيه الخمسة وستين مليونا ونصف المليون جنيه التى يتباهى بها سراج الدين ؟ ألم يكن سيقترض لتمويل الخطط الاقتصادية التى سيضعها ، ألم يكن سيضطر إلى تأميم المصالح الكبيرة لتوفير موارد للدولة تمكنها من تحقيق التنمية ؟

رابعا : كان على سراج الدين أن يذكر معدلات النمو الاقتصادى قبل الثورة وبعدها ليدلل على سوء الحال وتدهور الوضع الاقتصادى ، ولكنه لم يكن ليجرؤ على ذلك لأنه سيدحض كلامه

وينسفه من الأساس . لأن مصر فى عهد الثورة حققت معدلات نمو اقتصادى أكبر من المعدلات التى حققتها الدول النامية الأخرى .

ثم تحدث فؤاد سراج الدين عن الحقد الذى تركه عبد الناصر وزرعه فى النفوس ، ولكنه لم يوضح ما يعنيه بذلك . هل يعنى حقد الذين استولت الثورة على أراضيهم ووزعتها على المعدمين ؟ هل هو حقد أصحاب المصانع التى أممت ؟ هل هو حقد الذين أرغموا على رد خلو الرجل للسكان ؟ هل هو حقد الذين منعتهم الثورة من المضاربة فى أقوات الشعب ومصالحه ؟ أم أن فؤاد سراج الدين يعنى الحقد الذى فى نفوس الفقراء والمعدمين حينما يرون الفوارق الطبقية الشاسعة فى المجتمع ؟

أنه لما يشرف عبد الناصر أن تنصب عليه أحقاد الأغنياء وكبار الملاك . كلما كرهوه وحقدوا عليه كلما كان ذلك الشاهد الحى والدليل الذى لا تخطئه العين على شرفة وعظمته ، لأنه لو كان منهم لما كرهوه هذه الكراهية المميتة ، وإذا كان سراج الدين يريد أن يقول أن عبدالناصر بوقوفه بجانب الفقراء ضد الأغنياء زرع الحقد فى قلوب الفقراء وجعلهم يتطلعون إلى ما فى أيديهم فإن هذا

لما يشرفه كذلك . لأنالم يفعل أكثر من محاولة أنصاف هؤلاء الفقراء وتصفية الاستغلال فى المجتمع . وهو بذلك ينزع الحقد من قلوب الغالبية الساحقة من فقراء مصر ومعدميها . ويزرعها فى قلوب الأقلية المترفة ..

فأيهما أفضل ؟ أن تحقد الأقلية ؟ أم تحقد الأكثرية ؟

.. وأخيراً . فإننى أتساءل ..

إذا كانت الثورة بهذه البشاعة التى صورها بها سراج الدين وجلبت مثل هذه المصائب والخراب والأفلاس على الشعب وإذا كانت قد دمرت إنسانية الفرد ومحقت كرامته . فكيف يستقيم ذلك مع ما قاله فى حديثه بمجلة المصور بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٧ . وهو الحديث الذى نشر مع الخطاب فى الكتاب . إذ قال : —

« أطمئن فنحن مؤمنون تماما بالمكاسب الاشتراكية للفلاحين والعمال وهذا سينص عليه صراحة فى برنامج الحزب » .

وقال فى حديث لمجلة روزاليوسف نشر بتاريخ ٢٦ سبتمبر أى بعد خطابه : —

« إذن أنا وافقت على تحديد الملكية منذ عام ١٩٥٢ وأضيف الآن أن الحزب الجديد يؤيد فى برنامجه تحديد الملكية والتمسك بقانون الإصلاح الزراعى » .

.. فهل معنى ذلك أن سراج الدين سيتمسك بهذه الموبقات التى تسمى مكاسب عمال وفلاحين وتحديد ملكية زراعية وإصلاح زراعى ؟

.. وأنا لا أفهم كيف يتغنى سراج الدين بمحاسن عهد ما قبل ١٩٥٢ ، وبمساوئ ومصائب الثورة حتى وفاة عهد الناصر ، ويعقد المقارنات التى يدلل بها على ذلك ثم يقول فى نفس الخطاب عن الثورة : —

« هى فى الواقع انقلاب عسكرى ، حقيقة أيدته الأمة وباركته فاكتسب الشرعية من هذا التأييد الشعبى » .

« وفى حديثة لروزاليوسف قال : —

« كانت مصر قبل الثورة فى حالة من السوء والفوضى السياسية بسبب الملك واتباعه . حتى أنه أقال حكومة الوفد فى ٢٧ يناير ١٩٥٢

بالرغم من تمتعها بالأغلبية البرلمانية وتأييد الشعب وبالرغم من أنها كانت تخوض معركة وطنية مسلحة ضد الإنجليز فى القناة . وبلغت الفوضى حدها عندما غير الملك بعدنا أربع وزارات : على ماهر ونجيب الهلالى وحسين سرى ثم وزارة نجيب الهلالى مرة أخرى . . أربع وزارات فى خمسة شهور . كان القلق على أشده ، وكان سخط الناس على أشده ، واليأس يسيطر على الجميع . ولما قامت الثورة تقبلها الجميع بارتياح » .

* * *

ألم يكن من العدل أن يعترف سراج الدين للثورة ولو بحسنة واحدة ؟ ألم يكن من الموضوعيه أن يقول أن لها إيجابيات وسلبيات بدلا من هذا التناقض والتخبط والتورط الذى لم يكن له ما يبرره ؟ ألم يكن عبد الناصر يستحق اعترافا بأن له بعض الأعمال الإيجابية ؟ وأنه ليس الشيطان والحاقد والدموى ؟

.. سراج الدين افتقد العدل ، وافتقد الموضوعية وسمح لغضبة الشخصى أن يجرفه إلى مستوى الدفاع عن الفترات السوداء فى تاريخ مصر والتى أدانها الوفد ، نـكاية فى عهد الناصر ، وتشفيا منه .

ولكن السياسة لا تعرف هذا المنطق ، وهو أسلوب المعجزة .. أن الله سيحاسبنا على ذنوبنا وعلى حسناتنا ، فاذا ثقلت كفة الحسنات كفة السيئات دخل صاحبها الجنة . أى حتى الذين سيدخلون الجنة لهم سيئات وذنوب . لأن حسناتهم أكثر . .

إذا كان الله سيحاسب عباده بهذه الطريقة فهل وصل التجبر بسراج الدين أن لا يضع حسنة واحدة لعبد الناصر فى ميزانه ؟

وهل كثير على الثورة وعبد الناصر ، أن تكون لهما سيئات طيلة ثمانية عشر عاما متواصلة مليئة بالحروب والمعارك ومحاولات الانقلاب ضدها وتصفية نظام طبقى وبناء نظام جديد يجد فيه العمال والفلاحون أنفسهم فى قمة المجتمع وليس فى قاعه ؟

.. ألا يشفع لعبد الناصر أنه انصف ملايين العمال والفلاحين وغيرهم لأن مئات أو آلاف أضيروا ؟

.. ألا يشفع له أنه عمل لأن يكون لمصر اقتصاد وطنى مستقل وجيش قوى لأنه تعثر فى بعض الأوقات ؟

ألا يشفع له أنه عمل لبنـاء مصر الاشترا كية المتحررة من التبعية لرأس المـال الأجنبي لأن بعض الأخطاء وقعت ؟

.. إذا كنا سنحاسب زعمائنا بمثل هذا التعبير الذى يحاسب به سراج الدين عبد الناصر وثورة يوليو ، فأى زعيم سيخرج من عملية الحساب نظيفا ؟ وأى ثورة أو نضال وطنى لن يفلت من التشويه والتزييف ؟

أن سراج الدين رمز . وعبد الناصر رمز ، سراج الدين رمز لطبقة كانت لها السيطرة والقوة الاقتصادية ، وعبد الناصر رمز للقوة التى زلزلت كيان هذه الطبقة وجردتها من أسلحتها المالية والاقتصادية لمصلحة العمال والفلاحين . ولهذا لن تغفر هذه الطبقة لعبد الناصر ما فعله بها .. وهجومها عليه هو هجوم على الرمز . هجوم على العمال وفقراء الفلاحين وغيرهم من الفئات المطحونة .

.. وليس غريباً أن يردد وسراج الدين مايقوله كتاب وفلاسفة الوسط . أن وحدة الطبقة ووحدة مصالحها تعلو فوق كل اعتبار سياسى ، ولو كان عبد الناصر قد أرتكب كل موبقات الدنيا

وشرورها وحافظ على مصالح الرأسماليين وكبار ملاك الأراضى ضد العمال وفقراء الفلاحين وغيرهم لدافع عنه اليمين المصرى ولجده كل الذين يشوهون صورته وتاريخه الآن . .

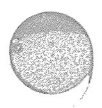
إن الرأسمالى على استعداد لأن يتهاون فى كل شى ويبتلع أى إهانة ، ولكنه لاينسى من يصفى مصالحه .

الغلاف للفنان
مكرم شحاته

رقم الإيداع ٥٢٢٤ / ٧٧
الترقيم الدولى ٩ — ٣٣ — ١٠ — ٩٧٧ ISBN

دار مأمون للطباعة

شارع خيرت درب البندق : ت ٢١٢١٨





إن النتيجة النهائية التى ستتمخض
عن هذا كله ، هى وجود حزبين
أساسيين هما حزب ناصرى اشتراكى ،
وحزب يمينى قوى وفعال هو الوفد ..
وستكون هناك أحزاب كثيرة أخرى من
اليمين ومن اليسار .. ستكون على يسار
ويمين الناصريين ، وعلى يسار ويمين
الوفد . أى سيكون الحزب الناصرى هو
قائد التحالف الاشتراكى والذى يضم الأحزا
الاشتراكية . وسيكون الوفد ه
الرجعى الذى يضم كل الأحزا

الثمن [illegible] قرشاً